

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَشَارُ الْغَفْلَةَ عَنِ التَّوْبَةِ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ



ISBN 978-9922-8694-9-0



9 789922 869490 >

٢٤٦ / ٩

ح ٥٩٩ الحسنی / نبیل قدوری حسن

آثار الغفلة عن التوبة في الدنيا والاخرة بين الصحيفة السجادية ونهج البلاغة / نبيل قدوري حسن الحسني . - ط١ - . كربلاء دار الوارث ٢٠٢٥ . (١٤٨) ص ، (٢٤) سم

١- التوبة. ٢- الادعية والاوراد. ٣- البلاغة العربية. أ. العنوان.

رقم الأيداع ٢٠٢٥/٢٤٢٢

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٤٢٢ لسنة ٢٠٢٥

BP193.25 .H38 2025

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة - مؤلف.

آثار الغفلة عن التوبة في الدنيا والاخرة بين الصحيفة السجادية ونهج البلاغة : دراسة في ضوء تنمية القيم الانسانية وتطوير الذات / تأليف السيد نبيل الحسني الكربلائي. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥ / ١٤٤٦ للهجرة.

١٤٨ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٦٣١) ، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٤١) ، (سلسلة تنمية القيم الانسانية ؛ ٢)

يتضمن ارجاعات ببيوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - حديث ٢. علي السجاد، علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) الامام الرابع، ٣٨-٩٤ للهجرة - حديث ٣. التوبة - حديث الشيعة الامامية ٤. الغفلة - حديث الشيعة الامامية ٥. الحديث (الشيعة الامامية) - دراسة

تحليلية أ. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

أَشَارَ الْخَفَلَةَ عَنِ التَّوْبَةِ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

بَيْنَ الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ وَنَهْجِ الْبَلَاغَةِ

دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ تَنْمِيَةِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَطْوِيرِ الذَّاتِ

بِالْيَمِينِ

لِسَيِّدِنَا الْحَسَنِ الْكَوْثَرِيِّ

إِصْدَار

مُؤَسَّسَةٌ عَالَمِيَّةٌ لِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ

الْعَتَبَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: info@inahj.org

استهلال

مما ورد في نهج البلاغة، قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا، فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتُوْرٍ عَنْهُ وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا، وَيُمَيِّتُهُ التَّوْبَةَ لِيَسُوْفَهَا، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشُّقُوَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَاْبَةً»^(١).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا، وَتَصَرَّ مَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَحْضَرْتَنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِجَابَتِهَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا نُحْصِي عَلَيْهَا كِتَابَةَ أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُؤَفِّقُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبِ اجْتِرْحَانَاهُ، وَلَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا، وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرًا سَتَرْتَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ، إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ».

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٦.

الإهداء

إلى: باب الله الذي مَنْ سلك غيرَه هلك ..

ونور الله الذي لا يطفى، وحجة الله التي لا تخفى.

إلى: مَنْ يُعِزُّ اللهُ به الدِّينَ بعد الخمول ..

ويطلع به الحقَّ بعد الأفول ..

ويُجَلِّي به الظُّلمةَ، ويكشف به الغُمَّةَ ..

ويؤمن به البلاد، ويهدي به العباد ..

إلى: مبير الظالمين، ودالك عُروش المجرمين، والآخذ بحق بضعة سيّد
المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين.

إلى: وليّ الله المكرّم، وابن سيّد الأنبياء ذي الشرف المقدّم، وابن
خاتم الأوصياء المعظم، الإمام المنتظر والغائب المشتهر (صلوات الله
وسلامه عليه وعلى آبائه الأئمة المنتجبين، وحُجج الله على الخلق
أجمين)... أهدي كتابي هذا.

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

(سورة يوسف، الآية: ٨٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تُحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاضِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ»^(١)، وصلواته التامات الزاكيات على حبيبه محمد، «عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الصَّفِيِّ، وَأَمِينَهُ الرَّضِيِّ»^(٢) وعلى أهل بيته «هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ»^(٣)، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ من بين أهمِّ القيم الإنسانيَّة التي حثَّ عليها القرآن والسُّنَّة النبويَّة هي التحرُّز من الوقوع في فكِّ الغفلة عن التوبة؛ ولا سيما ما ورد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) سواء عبر البناء القيميِّ للإنسان في المواعظ والإرشاد والأمر والنهي، أو عبر المناهل المعرفيَّة التي اكتنزتها الأدعيَّة المرويَّة عنهم، ومن بينها الصحيفة السجاديَّة التي كانت بحدِّ ذاتها مكنزاً معرفياً لجملة من الحقول التي يصعب حصرها وعدّها، ومنها البناء القيميِّ والأخلاقيِّ والتنمويِّ للفضائل واجتناب الرذائل.

ومن ثمَّ: يعرض النصُّ الشريف في نهج البلاغة والصحيفة السجاديَّة

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، بتحقيق صبحي الصالح: ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١، ج ١ / ص ٢٩٢ بتحقيق أ. د صلاح الفرطوسي.

حقيقة الصراع الذي يدور بين الإنسان والدنيا منذ ولادته إلى أن ينتهي به العمر، فيغادرها ليلج عالم الآخرة وينزل في أول منازلها وقد وقع في شباك الدنيا وتملكتها الغفلة عن التوبة.

وذلك أنه يبدأ مشواره الحياتي صارخاً باكياً يُصارع الدنيا كي يصل إلى المراضع وإلى مَنْ يستره بالثياب، ويكفُّ عنه الأذى، وإلى مَنْ يُؤانسه ويُصاحجُه، ويُناغيه لِيُبدد وحدته، فهو منذ ذلك الوقت يُصارع الدنيا لأُمورٍ أربعة (الطعام، والملبس، والأمن، والعاطفة) وهذه الأربعة يُصارعُ في شبابه وكهولته، وإن أخذ به الضعفُ وأقعده العجزُ عن القيام بوظائفه البدنية والنفسية إلا أنه في حقيقة الحال يزداد صراعه مع الحياة وحرصه عليها.

ومن ثمَّ: يكون صراعه في الدنيا لأجل الدنيا، في حين أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يخاطب الإنسان - في النصِّ الشريف محلَّ البحث - لينقله إلى غايةٍ أخرى في صراعه مع الدنيا، فيقول:

«فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا».

ومن ثمَّ على الإنسان أن يتزوّد في حياته الدنيوية ليأخذ منها ما يحرز به نفسه في الآخرة؛ أي يحفظها وينجيها من البلاء والضراء والعقاب والهلكة في الآخرة، وذلك أنه في خضمِّ انشغاله وصراعه مع الحياة يغفل عن نفسه ليووجه حقيقةً مرّةً في الآخرة ويجد نفسه في:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(١).

(١) عبس: ٣٤ - ٣٦.

والعِلَّةُ في هذه الغفلة التي يقع فيها الناس أنهم «في كثير الأيام التي تكون» منهم «فيها الغفلة، والتشاغل عن الموعظة» كما بين أمير المؤمنين (عليه السلام).

من هنا: فإن أخطر ما يواجه الإنسان في صراعه مع الدنيا هو الغفلة عن التوبة؛ فيتردى به الحال إلى البهيمة فيكون مصيره في الآخرة كما بينه القرآن بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١).

ومن ثم: فالبحث يدرس فرضية ويعالج مشكلة وبها تكمن أهميته، فأما فرضية البحث فهي: إن غفلة الإنسان عن التوبة يترتب عليها آثار في الدنيا والآخرة وتفقده قيمته الإنسانية.

وأما مشكلة البحث فتكمن: بتعدد أسباب غفلة الإنسان ودورانه بينها؛ وهي النفس، والشيطان والبيئة التي تحيط به وكيفية التخلص منها.

يهدف البحث إلى: بيان أهمية الالتفات لخطر الغفلة عن التوبة بوصفها قيمة إنسانية؛ أي إن البحث قد ركز على أمر محدد ودراسته عبر منهلين أساسيين وهما: نهج البلاغة والصحيفة السجادية، وليس كل ما ورد عن الغفلة أو التوبة بنحو مستقل، وذلك أن لكل منهما موضوعه وحيثياته وموارده العديدة في الفكر الإسلامي.

(١) الأعراف: ١٧٩.

وقد اشتملت الدراسة على تمهيدٍ لبيان معنى مفردات العنوان ومناهله المعرفية، وثلاثة فصولٍ ومجموعةٍ من المباحث والمسائل بعون الله تعالى وسابق لطفه وفضله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله).

فإن أصبتُ فذلك مبلغ علمي ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢).

المتشرف بالخدمتين

العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

السيد نبيل الحسنی

في العشرين من شهر محرم الحرام لعام ١٤٤٥ هـ.

من جوار ضريح ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله) وقرّة عين الزهراء

البتول (عليها السلام) الإمام الشهيد المظلوم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)

كربلاء المقدسة.

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) هود: ٨٨.

التمهيد

معنى مفردات عنوان الدراسة ومناهله المعرفية

أولاً: معنى مصطلح (القيم الإنسانية) ومفهومه.

١. المعنى اللغوي للمصطلح.

تكمُن الغاية في دراسة المصطلح الذي تصدرته السلسلة البحثية - أي (القيم الإنسانية) - في بيان الممازجة والاتساق المفهومي والدلالي بين أهم منهلين من مناهل المعرفة بعد القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما كتابي نهج البلاغة والصحيفة السجادية، ومن ثم فإن مصطلح (القيم الإنسانية) يتكون من مفردتين ولكل منهما معناه ودلالته ومفهومه، وأن الممازجة بينهما تُرشد إلى معنى ومفهوم محدد، ولا سيما أن المرتكز في معنى المصطلح ودلالته يرتكز على (القيم)، وقد تناول أهل اللغة مفردة (القيمة) في مادة (قوم)، وبحثوا تعدد معانيها بتعدد استعمالاتها؛ فمنها:

أ- قال الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

«القيمة: الملة المستقيمة؛ وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١)، أي: المستقيمة.

و القيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتقويم تقول: تقاوموا فيما بينهم؛ وإذا انقاد،

واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه»^(٢).

(١) البينة: ٥.

(٢) كتاب العين: ج ٥ ص ٢٣٣.

ب - قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):

«ومن الباب: قَوِّمْتُ الشيءَ تقويماً؛ وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تُقِيمُ هذا مكانَ ذلك .

وبلغنا: أن أهل مكة يقولون: استقيمتُ المتاعُ أي قَوِّمْتُهُ، ومن الباب: هذا قِوَامُ الدين والحقِّ، أي به يقوم»^(١).

ج - قال ابن منظور: (ت ٧١١هـ).

«القيمةُ: ثَمَنُ الشيءِ بالتَّقْوِيمِ؛ وقِيِمَ الأمرُ: مُقِيمه. وأمرٌ قِيِمٌ: مُسْتَقِيم. وفي الحديث: (أَتَانِي مَلِكٌ فَقَالَ: أَنْتَ قِيِمٌ، وَخُلِقَ قِيِمٌ)، أي مُسْتَقِيم حَسَنٌ»^(٢).

٢ - مفهوم المصطلح.

إنَّ الاستفادة من بيان أهل اللُّغة أنَّ معنى (القيمة) يدور بين الاستقامة والأداة التي يُقَوِّمُ بها الشيءُ أو الأمرُ ليستقيم، وبين المقدار المساوي للشيء للوصول إلى التراضي بين طرفين.

ولا شكَّ أنَّ مفهوم مصطلح (القيمة الإنسانية) منحصرٌ في المعنى الأوَّل؛ أي استقامة الأمر وحفظه من الاعوجاج والميل عن الحقِّ، ولا يُراد منه الثمن الموضوع للتراضي.

(١) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس: ج ٥ ص ٤٣.

(٢) لسان العرب: ج ١٢ ص ٥٠٠-٥٠٢.

٣. الفرق بين الثمن والقيمة وأثره في معنى المصطلح ومفهومه.

ومّا يدلّ على أنّ معنى مصطلح (القيم الإنسانيّة) مركّز على استقامة الأمر وحفظه عن الميل والاعوجاج، هو الفرق بين الثمن والقيمة، وفيه قال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ):

«الفرق بينهما أنّ القيمة: ما يوافق مقدار الشيء ويُعادله؛ ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدَّ كَانَ يُحْسِنُهُ)^(١)

والثمن: ما يقع التراضي به مما يكون وبقائه، أو أزيد، أو أنقص. ويُرشّد إليه قوله سبحانه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾^(٢)؛ فإنّ تلك الدراهم العديدة لم تُكن قيمة يوسف، وإنّما وقع عليها التراضي، وجرى عليها البيع^(٣).

٤. المعنى التركيبي لمفهوم المصطلح ومعناه.

ومن ثمّ: فإنّ القيمة الإنسانيّة هي الأداة التي يتقوم بها الإنسان في مسيره وسلوكه الإنسانيّ ومنها (الغفلة عن التوبة) فالإنسان هو المعنيّ بها؛ بل هو قيمة إنسانيّة عليا في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ولا سيما كتابي نهج البلاغة والصحيفة السجّادية بوصفهما الكتابين الأهمّ من بين الكتب التي تناولت أحاديث عترة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن ثمّ كانا موضع الدراسة ومادّتها الأساس.

(١) جاء قوله (عليه السلام) في نهج البلاغة: الحكمة: ٨١ بلفظ: (قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ).

(٢) يوسف: ٢٠.

(٣) الفروق اللغويّة: ص ٤٤.



ثانياً: معنى الغفلة في اللغة والاصطلاح.

١. الغفلة لغتاً:

يرى أعلام اللغة أنّ الغفلة أصلها السهو عن الشيء وسببها ذهاب القلب عنه، وسها الرجل في صلاته إذا غفل عن شيء منها^(١).

٢. الغفلة اصطلاحاً:

وأما في الاصطلاح: فتعني «عدم الانتباه أو الحذر، أو تخلّف الذكاء وقلة الفطنة»^(٢).

ثالثاً: معنى التوبة في اللغة والاصطلاح.

١. التوبة لغتاً:

ذهب أعلام اللغة إلى أنّ التوب والتوبة: «الرّجوع من الذّنْب». وقال الأخفش: التوب جمع توبة مثل عزيمة وعزم. وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً ومتاباً: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة»^(٣).

٢. التوبة اصطلاحاً.

وأما في الاصطلاح فقد قيل: «إنّها خصّت بالرجوع عن الذنب خاصّةً، قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ

(١) ينظر: العين، الفراهيدي، ج ٤، ٧١، المخصّص، ابن سيده، ج ٤ السفر الثالث عشر، ص ٧٣.

(٢) المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، ص ١٨٨٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١ ص ٢٣٣.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. ﴿١﴾

وقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

وقيل: الرجوع عن أفعالٍ مذمومة إلى أفعالٍ محمودَةٍ شرعاً ﴿٤﴾.

رابعاً: تعريف الصحيفة السجادية.

قد يكون من البداهة التعريف بكتاب الصحيفة السجادية التي نالت شهرةً واسعةً بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام)؛ وهي مجموع من الأدعية من إنشاء الإمام علي بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، الملقب بزین العابدين وسيّد الساجدين، وهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ثقل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الأصغر وخليفته في أمته.

وفي التعريف بها قال الشيخ الطهراني: «اتفق مؤرّخو الإسلام على أنّ [الإمام زين العابدين] من أشهر رجال التقوى والزهد والعبادة، وقد ذكر معظمهم أدعيته التي كان يُناجي بها ربّه، وهي التي ضمّتها هذه المجموعة، وتبلغ (٥٤) دعاء؛ وهي على جانبٍ عظيم من الأهميّة، ومَن يتصفّحها ويتأمّل معانيها يعرف شيئاً عن مكانة الإمام (عليه السلام)، ويعنى بها شيعة أهل البيت [عليهم السلام] عنايةً بالغة؛ فقد سّماها العلامة ابن شهر آشوب

(١) التوبة: ٣.

(٢) المائدة: ٧٤.

(٣) مفتاح السعادة، النقوي: ج ٧ ص ٣٩٧.

(٤) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، محمود عبد الرحمن: ج ٢ ص ٣٨١.

في (معالم العلماء) عند ترجمته للمتوكل بن عمير بـ (زبور آل محمد) [صلى الله عليه وآله]، وعند ترجمته ليحيى بن علي بن محمد الحسيني الدلفي بـ (إنجيل أهل البيت) [عليهم السلام].

وقد خصّها الأصحاب بالذكر في إجازاتهم واهتموا بروايتها منذ القديم وتوارث ذلك الخلف عن السلف وطبقة عن طبقة، وتنتهي روايتها إلى الإمام الباقر، وزيد الشهيد ابني الإمام زين العابدين [عليهم السلام].

وبالنظر لعظيم مكانة الإمام [زين العابدين (عليه السلام)] ومزيد أهميّة هذه الأدعية ألفت الشروح الكثيرة لهذه الصحيفة، كما ألفت صحائف أخرى جمعت بقية أدعيته مما لم يُذكر

في هذه الصحيفة المسماة بـ (الكاملة) أو (الأولى)؛ وهي الصحيفة الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة^(١).

خامساً: تعريف كتاب نهج البلاغة.

قليلة هي النتاجات العلميّة والفكريّة التي تركت أثراً بالغاً في المحافل العلميّة والأروقة الثقافيّة، والمجالس الأدبية، بمعنى: أن دلالة هذه القلّة ومصدقها تكمن في أنّ أغلب النتاجات الفكريّة تأخذ مجالها واستحقاقها فيما تناولته من حقل معرفيٍّ محدّد، فمن كتب في التاريخ أخذ أثره في حقل التاريخ، ومن كتب في الفقه أخذ أثره في الفقه، ومن كتب في العلوم التطبيقية أخذت هذه الكتابات أثرها في حقولها المعرفية المحددة والتخصّصية، أمّا أن يكون هناك كتابٌ يقصده طلاب العلم والمعرفة في مختلف المجالات والتخصّصات

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة: ج ١٣ / ص ٣٤٥.

والعلوم فهذا ما يتعذر وجوده إلا فيمن كانت لكلامه آثارٌ رحمانيةً وأنفاسٌ نبويةً تفتح للعالم والطالب والأستاذ منافذَ للمعرفة وأبواباً للعلم، وهذا ما انحصر وجوده في القرآن وكلام أهل البيت (عليهم السلام) بوصفهم عدل القرآن وثقل النبي (صلى الله عليه وآله) في الأمة؛ ولا سيما كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يُفتَحُ منه ألف بابٍ من العلم^(١).

ومن ثمَّ: كان لكتاب نهج البلاغة الجامع لبعض كلام مولى الموحدتين وأمير المؤمنين الإمام عليٍّ (عليه الصلاة والسلام) الذي جمعه الشريف الرضي (عليه رحمة الله ورضوانه) (المتوفى ٤٠٦ هـ)، خصوصيةً خاصةً ظهرت في عدد الناهلين من معين هذا الكتاب من طلاب العلم وأهله، وفي العديد من التخصصات، فجعلوا من كتاب نهج البلاغة مادتهم العلمية ومدادهم الفكري والمعرفي فأبدعوا وأجادوا، فلم يملكوا أقلامهم من النقش على صفحات أفئدتهم بحبِّ علي (عليه السلام)، فعجزوا عن تكميمها من البوح بفضله وشرفه وجلالة قدره ومنزلته.

وحسبنا ما تكلم به الشريف الرضي (عليه رحمة الله ورضوانه) وهو يُفصِّحُ عن الباعث الذي دفعه لتأليف كتاب نهج البلاغة، بعد أن ذكر أن جماعةً من أهل العلم ممن له فيهم ضحبة ومودة قد سأله أن يشرع في جمع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ وذلك بوصفه العالم باللغة والعارف بعلومها، فقال:

(١) وهو الحديث المشهور عنه (عليه الصلاة والسلام) «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ...» وقد أخرجه الفريقان بألفاظٍ وطُرقٍ متعدِّدة لا سيَّما ما أخرجه ابن فروخ الصفار (رحمه الله) في بصائر الدرجات وقد أفرده باباً خاصاً تحت الرقم ١٦: ص ٣٢٢ - ٣٢٧.

«وَسَأَلُونِي عِنْدَ ذَلِكَ: أَنْ أَبْتَدِئَ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى مُخْتَارِ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ فُنُونِهِ، وَمُتَشَعِّبَاتِ غُصُونِهِ، مِنْ خُطْبٍ وَكُتُبٍ وَمَوَاعِظَ وَأَدَبٍ.

عِلْمًا أَنْ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مِنْ عَجَائِبِ الْبَلَاغَةِ، وَغَرَائِبِ الْفَصَاحَةِ، وَجَوَاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَثَوَاقِبِ الْكَلِمِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَاوِيَّةِ، مَا لَا يُوجَدُ مُجْتَمِعًا فِي كَلَامٍ، وَلَا مَجْمُوعَ الْأَطْرَافِ فِي كِتَابٍ؛ إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشْرَعَ الْفَصَاحَةِ وَمُورِدَهَا، وَمَنْشَأَ الْبَلَاغَةِ وَمَوْلِدَهَا، وَمِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَهَرَ مَكْنُونُهَا، وَعَنْهُ أُخِذَتْ قَوَائِنُهَا، وَعَلَى أَمْثَلَتِهِ حَذَا كُلُّ قَائِلٍ خَطِيبٍ، وَبِكَلَامِهِ اسْتَعَانَ كُلُّ وَاِعِظٍ بَلِيغٍ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَبَقَ وَقَصَّرُوا، وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرُوا؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَلَامُ الَّذِي عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَفِيهِ عِبْقَةٌ مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ...»^(١).

ومن ثمَّ: فإنَّ مادة البحث ومعارفه قد نهلت من بحرين لا ينفدان، أي كتاب نهج البلاغة والصحيفة السجّادية عبر مجموعة من المباحث والمسائل.

(١) نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق أ. د صلاح الفرطوسي، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية، ط ١، ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م، دار الوارث للطباعة/ كربلاء المقدّسة.

الفصل الأول

أسباب الغفلة عن التوبة ودورانها
بين الإنسان والشيطان والبيئة

توطئة:

يُرشدُ النصُّ الشريفَ المروي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام):

«فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ، نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهِ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُؤَمِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، إِذَا هَجَمَتْ مِنْيْتَهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا»^(١).

إلى بيان أسباب الغفلة التي يقع الإنسان في شباكها فيهلك ويهلك غيره ممن يلوذ به أو يتأسى به، كما يقع كثير من الناس حينما يتأسون بأهل الدنيا المتكاليون عليها، فلا أمر الله يأتمرون به ولا نهى له يتناهون عنه.

ومن ثمَّ يبيِّنُ (عليه السلام) أسباب الغفلة، فيجعلها في سبعة أسباب؛ منها خمسة ارتبطت بالإنسان، وأثنتان ارتبطت بالشیطان، وهو ما سنتناوله في المسائل القادمة:

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٤ بتحقيق صبحي الصالح.

المبحث الأول

أسباب الغفلة العائدة إلى الإنسان

المسألة الأولى: تَرَكَ تَقْوَى اللَّهِ.

يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) تقوى الله تعالى الأصل الذي يرتكز عليه التنبه من الغفلة والإقبال على التوبة، بل هي سنام التزود في الدنيا من الدنيا؛ وذلك بوصفها المحصنة للإنسان من الوقوع في تتابع الأسباب الخمسة الموقعة في الغفلة، فما هي التقوى؟

أولاً. التقوى لغتاً.

ذهب أعلام اللغة إلى أن معنى التقوى يعود إلى (وقي)، وهي بمعنى: الصون والستر والحذر، قال ابن منظور:

«وقي: وقاة الله وقياً ووقايةً وواقيةً: صانه، وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسرته عن الأذى، وتوقى واتقى بمعنى؛ وقد توقيت واتقيت الشيء وتقيته أتقيه وأتقيه تقي وتقيّة وتقاء: حذرته.

والتقوى اسم، وموضع التاء واو وأصلها (وقوى)، وهي فعل من وقيت، والتقوى والتقى واحد؛ ورجل تقي، ويجمع أتقياء، معناه: أنه موقن نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها»^(١).

ومن ثم: فلا نجاة للإنسان إلا عبر صيانة نفسه من الآثام وتحرزه من

(١) لسان العرب: ج ١٥ ص ٤٠١ - ٤٠٤.

الوقوع بها؛ فيكون بذلك قد وَقِيَ نفسه من الغفلة، ولكن ثَمَّة سؤال: كيف تكون التقوى حاجزًا عن الأسباب الخمسة التي تقود إلى الغفلة كما ورد في النصّ الشريف؟

وجوابه:

ثانيًا. أثر التقوى في النجاة من أسباب الغفلة عن التوبة.

يُرشدنا قوله (عليه السلام): «فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ» إلى بيان سُلم الارتقاء التنمويّ للذات وحصانة النفس ونجاتها من الغفلة عبر جملة من الأسباب التي تقوده إلى التردّي النفسيّ فيدركه الأجل وهو «أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا»^(١)، أي عن التوبة.

وذلك أنّ التقوى تكون حاجزًا للإنسان من تَرْكِ النصيحة لنفسه؛ أي إنّها تقود إلى النصيحة فيمتنع من الوقوع في الغفلة، فلا يُؤخّر التوبة إلى الله تعالى بتّركه الواجبات أو تعديّه على النواهي فيهتك ستر الإيمان.

وذلك لغلبة شهوته على عقله فتحجبه عن التفكير والتبصّر، فلا همّ له إلا في إرضائها والانغماس في ملذّاتها، وهو لا يرى غير موارد تحصيلها، ومواطن اغتنامها، مُتَمَيِّئًا نفسه بما هو زائل عنه وتُرغّبًا إلى ما هو حائل عنه، وكأنّ الدنيا له باقية وملذّاته دائمة، قد غرّه الأمل فأنساه الأجل.

ومن ثمّ: كيف لا يبتدئ (عليه الصلاة والسلام) بالتقوى؛ فيجعلها الأصل الذي تنمو عليه قيم النفس، فتسلك سُلم الارتقاء والتحرّز والحصانة والستر؟ بل كيف لا تنجو عبر التقوى من التسافل والوقوع في الغفلة عن التوبة؟

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٤ بتحقيق صبحي الصالح.

من هنا: تَضِحُ لنا الحكمة في حَثِّ القرآن والسُّنَّة على التقوى، ويتكشَّف لنا مقاصديَّة جَعَلَهَا الأصل في الارتقاء التنمويِّ للذات وحصانة النفس؛ فقد جعلها القرآن في أربعة أصولٍ تنمويَّة في التزوُّد والتحصيل واللباس والمجتمع والفكر. ففي التزوُّد والتحصيل، قال تعالى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وفي السُّتر والوقاية والتحرُّز، قال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٢).

وفي الصيانة من التطرُّف والاختراق المجتمعي، قال تعالى:

﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣).

وفي تحصين الفكر ووقايته من التطرُّف، قال تعالى:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٤).

ومن ثمَّ: لا شيءٍ أحرَزَ للإنسان من تقوى الله تعالى والتمسُّك بأوامره ومنع النفس من انتهاك نواهيه؛ فينجو بذلك من الغفلة، وإلا وقع في تبعاتها عبر جملةٍ من الأسباب التي حددها النصُّ الشريف.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الأعراف: ٢٦.

(٣) التوبة: ١٠٨.

(٤) الفتح: ٢٦.

المسألة الثانية: غزوف الإنسان عن النصيحة لنفسه.

يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) - بعد بيانه للأصل الذي تتركز عليه عملية النجاة من الغفلة عن التوبة؛ أي التقوى كما مرّ بيانه آنفاً - أوّل الأسباب التي تقود إلى الغفلة وهو: (ترك الإنسان النصيحة لنفسه)، وأصلها كما أسلفنا ترك التحرز من الوقوع في الآثام عبر التقوى؛ ومن ثمّ تكون النتيجة إعراضه عن تقديم النصيحة لنفسه ووقوعه في تبعاتها، كما كشفته النصوص الشريفة التي سيمرّ بيانها، ولكن كيف تكون النصيحة للنفس؟ النصيحة، هي: «المشورة بما فيه الحظّ والصّلاح، ونصح الشيء مثل نصح: إذا خلص، ومنه سُميت النصيحة»^(١).

وتتلخص المشورة للنفس عبر النظر والأمر والنهي والحثّ والمنع؛ فأما النظر فيكون في التأمل بما يصلحها؛ وذلك «بأمرها بما هو محصّل لها الكمال، ونهيها عما يوقعها في الضلال، وحثّها بالخيرات والحسنات، ومنعها عن الشرور والسيئات»^(٢).

وبعبارة أخرى: «يأخذ بكلّ ما يوجب سبباً لكمالها، ويترك ما هو عائق عن وصولها إليه، وإنّما عدّه [عليه السلام] من التقوى؛ لأنّ التقوى عبارة عن اتّقاء النفس ووقايتها عن الشرور والآفات، واتّصافها بالحسنات والملكات الفاضلة»^(٣).

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج ٤ ص ٧٧.

(٢) منهاج البراعة، السيّد حبيب الله الخوئي: ج ٤ ص ٤٠٤.

(٣) مفتاح السعادة، السيّد محمد تقي النقوي: ج ٧ ص ٣٩٤.

من هنا: نجد الروايات الشريفة الواردة عن العترة النبوية (عليهم السلام) تُوليها اهتمامًا خاصًا؛ فمنها:

١- روى أحمد بن حنبل، عن ابن عباسٍ قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وآله] وسلّم: الدِّينُ النَّصِيحَةُ.

قالوا: لمن؟

قال: لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين»^(١).

٢- وروى الشريف الرضي في مواضع عدّة من نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فمنها:

أ- في بيانه لجهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في النُّصْحِ لِأُمَّتِهِ، قال (عليه السلام):

«بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَرَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»^(٢).

ب- قال (عليه السلام):

«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، الْإِبْلَاجُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ...»^(٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٥١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥ بتحقيق صبحي الصالح.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٥، بتحقيق صبحي الصالح.

ج - قال (عليه السلام):

«واقبلوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أهدَاها إِلَيْكُمْ، واعقلوها على أنفسكم»^(١).

د - قال (عليه السلام):

«ولكن من واجب حقوق الله على عباده، النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم..»^(٢).

هـ - وقال في وصيته لولده الحسن (عليهما السلام):

«وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة..»^(٣)، وغيرها من المواضع.

أما ما ورد عن بقيّة الأئمة (عليهم السلام) فكثيرة، فقد أفردها الشيخ الكليني (رحمه الله) باباً ضمن كتابه الكافي نأخذ منه شاهدين:

الأوّل: «عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ النَّصِيحَةُ لَهُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمُغِيبِ»^(٤).

الآخر: «عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهُمْ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لِخَلْقِهِ»^(٥).

ومن ثمّ: تتضح لنا الحكمة عبر النصوص الشريفة والعلة في بيان أهميّة

النصيحة للنفس وأثرها في منع وقوع الإنسان في الغفلة عن التوبة.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢١، بتحقيق صبحي الصالح.

(٢) المصدر السابق، الخطبة: ٢١٦.

(٣) المصدر السابق، الوصية: ٣١.

(٤) الكافي، باب: نصيحة المؤمن، ج ٢ ص ٢٠٨.

(٥) الكافي، باب: نصيحة المؤمن، ج ٢ ص ٢٠٨.

المسألة الثالثة: تأخير التوبة.

يتدرّج بنا النصّ الشريف في سُلّم البناء التّنمويّ للذات وإصلاح النفس وتهذيبها؛ من خلال بيانه (عليه السلام) لأثر التقوى بوصفها الأساس الذي تتركز عليه عملية التنمية للقيم الإنسانية، ثم الانتقال إلى تقديم النصّح للنفس، ليصل إلى المرتبة الثالثة بتقديم التوبة والالتفات إليها.

بمعنى آخر: إنّ قصديّة النصّ الشريف تُرشدُ إلى أنّ الإنسان باستطاعته أن ينجو من الغفلة عن التوبة في كلّ مرتبة من مراتب سُلّم البناء التّنمويّ والقيميّ للنفس وتهذيبها؛ إذ بإمكانه في مرتبة التقوى أن يتنبّه إلى التوبة، وكذا يكون حاله في المرتبة الثانية عبر تقديم النصّح، فإذا لم يلتفت فيما مضى يُمكنه أن يُقدّم التوبة في أيامه ولياليه ويُسارعُ إلى الله تعالى لينجو من شبك الغفلة.

أولاً. هل المراد بتقديم التوبة الإسراع أم ترك التسوييف؟

ينتقل بنا النصّ الشريف؛ أي قوله (عليه الصلاة والسلام):

«وقدّم توبته» إلى بيان السبب الثالث من أسباب وقوع الإنسان في الغفلة؛ وذلك عبر تأخير التوبة، والمؤخّر غير الغافل عن التوبة والمسوّف لها؛ إذ إنّ التسوييف من فعل الشيطان كما سيمرُّ بيّانه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

من هنا: نجد أنّ دلالة قوله (عليه السلام): «وقدّم توبته» يُراد بها حثّ الإنسان على الإسراع بها وليس التسوييف والتأجيل من وقتٍ لآخر؛ وذلك أنّ الفارق بين التأخير والتسوييف هو أنّ الإنسان في التأخير لا يكون غافلاً عن التوبة، بل يُدرِكُ أنّه من العصاة لله تعالى قد أوقعته نفسه في الذنوب والآثام، أمّا الغافل فهو لا يلتفت إلى ذنوبه ومعاصيه لله تعالى؛ فقد يكون في

شبهة فكرية بأنه على حقّ ويسير في الاتجاه الصحيح، أو أنّ مصادر علمه ومعارفه من أهل الخِلاف والضلال والبدع، فيكون بحاجةٍ إلى مَنْ ينبّهه وينصّحه ويُرشّده إلى الصواب.

أوقد يكون قاصراً عن إدراك الحكم الشرعيّ؛ كمن سكن في البراري أو النواحي أو أطراف المدن، أو يكون في مجتمع لا توجد فيه مظاهر التدبّر والوعظ والإرشاد؛ كما هو حال المدن الأجنبية، وما يقابلها من المدن الإسلاميّة ولا سيّما البقاع التي خصّها الله بكرامته وجعلها مزاراً ومناراً لدينه؛ كالمدن المقدّسة والمشرّفة بمشاهد الأئمة (عليهم السلام)، أو المساجد ودور العبادة، وغيرها من مظاهر التدبّر.

ومن ثمّ تُظهر الروايات والنصوص الشريفة أهميّة الحفاظ على مظاهر العبادة والتذكير بالله تعالى؛ وذلك لما لها من آثار في التنبيه من الغفلة، وإرشاد الناس إلى الصواب، وإرجاعهم إلى الله تعالى والتوبة منه، قال تعالى: «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ»^(١).

ثانياً. قصديّة النصّ بالإسراع يُراد به التطهير وكشف الحُجب عن القلب. ممّا لا ريبَ فيه أنّ النصّ الشريف يُرشّد إلى قصديّة مهمّة تكشف عن الحكمة في الحثّ على الإسراع في التوبة إلى الله تعالى والتخلّص من الذنوب والآثام «وذلك لأنّ التوبة للعبد بمنزلة الماء المطهّر عن الأخباث والأرجاس، فكما أنّ العبد بالوضوء أو الغسل، ليصير متطهّراً لائقاً لمناجاة ربّه، فكذلك

بالتوبة يصير قلبه متطهراً عن رجس الذنب وخُبثه»^(١).

وقد تضافرت النصوص الشريفة في بيان هذه القصدية؛ أي ما يتركه الذنب من آثارٍ على نقاء القلب، بل وحجب الأنوار عنه؛ منها:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٥).

وغيرها من الآيات المباركة الكاشفة عن أهمية الإسراع بالتوبة وبيان آثارها على الإنسان؛ ولا سيما في تطهيره مما علق به من الذنوب التي تعمل على تراكم الحُجُب والصدأ على القلب؛ فيسلب البصيرة ووضوح السبيل إلى الله تعالى حتى يُدركه الموت وهو غارق في هذه الغفلة عن التوبة وآثارها التطهيرية.

(١) مفتاح السعادة / محمد تقي النقوي: ج ٧ ص ٣٧٨.

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) النساء: ١٥٥.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المنافقون: ٣.

ثالثاً. هل يَأْتُمُ الْإِنْسَانُ بِتَأْخِيرِ التَّوْبَةِ؟

ذهب كثيرٌ من العلماء والفقهاء إلى وجوب التوبة والإسراع بها؛ وذلك لما تُشكِّله من عُنْصُرٍ أَسَاسٍ فِي نِجَاةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا سَيَمُرُّ بِبَيَانِهِ لَاحِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فقالوا: بوجوبها على الإنسان «من أوَّل التَّكْلِيفِ إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ، إِلَّا أَنَّهُا كَلَّمَا كَانَتْ أَسْرَعَ وَأَقْدَمَ فَهِيَ أَحْسَنُ وَأَوْلَى، بَلْ لَا يَبْعَدُ الْقَوْلُ بَعْدَ جَوَازِ تَأْخِيرِهَا أَصْلًا مَعَ التَّوَجُّهِ إِلَى وَجُوبِهَا؛ بِمَعْنَى أَنَّهَا تَجِبُ عَلَى الْفَوْرِ كَمَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، وَاسْتَدَلُّوا فِيهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾^(١).

وعليه: فلو أخرها عمداً عصي (وفعل) بتركه الواجب وأما لو قلنا بعدم الفور فيها فلم يترك الواجب كما هو ظاهر^(٢).

من هنا «قال بعض المحققين: والأظهر أنها تجب لما لم يكفر في الذنوب، كالكبائر والصغائر التي أُصِرَّتْ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهَا مُلْحَقَةٌ بِالْكَبَائِرِ، وَالصَّغَائِرُ الَّتِي لَمْ يُجْتَنَبْ مَعَهَا الْكَبَائِرُ؛ فَإِنَّهَا مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ فَهِيَ مُكْفَرَةٌ إِذَا لَمْ يُصَرَّ عَلَيْهَا وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ عَنْهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنْ جِتَيْتُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٣)»^(٤).

(١) النساء: ١٨.

(٢) مفتاح السعادة/ محمد تقي النقوي: ج ٧ ص ٣٧٨.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) مفتاح السعادة/ محمد تقي النقوي: ج ٧ ص ٣٧٨.

وقال العلامة الحليّ نقلًا عن الشيخ الطوسيّ (رحهما الله تعالى):

«التوبة واجبة، لدفعها الضرر، ولوجوب الندم على كل قبيح وإخلال
بواجب. وذلك: أنّ التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصيةً، والعزم على
ترك المعادة في المستقبل؛ لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي الندم، وهي واجبة
بالإجماع»^(١).

من هنا: فإنّ «التوبة بابٌ من أبواب الفتح والسعادة ولطفٌ من الله
تعالى في حقّ العباد، وقد دلّت على لزوم التوبة ووجوب المبادرة إليها قبل
الموت بعد الآيات روايات كثيرة»^(٢).

ولقد أفرد لها الشيخ الكلينيّ بابًا، فما ورد فيها - ونكتفي بشاهد واحد -:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام)، قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ بْنُ
مُسْلِمٍ، ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَابَ مِنْهَا مَغْفُورَةٌ لَهُ فَلْيَعْمَلِ الْمُؤْمِنُ لِمَا يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ
التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

قُلْتُ: فَإِنْ عَادَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ وَعَادَ فِي التَّوْبَةِ؟ فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَتَرَى الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدَمُ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتُوبُ
ثُمَّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ؟!!

قُلْتُ: فَإِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا يُذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ؟ فَقَالَ:

كُلَّمَا عَادَ الْمُؤْمِنُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالمَغْفِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٥٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

رَحِيمٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُقْنَطَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(١).
ومن ثمّ: كيف لا يبادر الإنسان المؤمن إلى الإسراع بالتوبة وقد أيقن أن الله تعالى قد فتح له باب التوبة ليلجّه فينجو من عواقب الذنوب؟ وكيف لا يتنبّه من الغفلة عنها وقد استشعر الندم فبادر بالاستغفار؟

المسألة الرابعة: غلب الشهوة.

كي يتمكن الإنسان من غلب شهوته فينجو من الوقوع في شباك الغفلة عن التوبة فلا بُدّ له من العمل بقاعدة المحاسبة والمراقبة، وهو ما أرشد إليه قوله (عليه الصلاة والسلام):

«وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ».

وكما أسلفنا في السبب الثالث في وقوع الإنسان في الغفلة عن التوبة، فإنّ أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يتدرّج بنا في سلّم البناء التّمويّ للذات وإصلاح النفس وتهذيبها في بيانه (عليه السلام) لأنّ التقوى بوصفها الأساس الذي تتركز عليه عملية التنمية للقيم الإنسانية، ثمّ بتقديم النصح للنفس في المرتبة الثانية، ثمّ بتقديم التوبة في المرتبة الثالثة، ثمّ ينتقل (عليه السلام) إلى المرتبة الرابعة في سلّم البناء القيميّ؛ ليرشدنا إلى أثر غلب الشهوة على تهذيب النفس، والخروج من دائرة الغفلة، والتوجّه إلى التوبة ممّا اقترفه الإنسان في حقّ الله وحقّ نفسه.

أي إنّ الإنسان باستطاعته أن ينجو من الغفلة عن التوبة في كلّ مرتبة من مراتب سلّم البناء التّمويّ والقيميّ للنفس وتهذيبها، إلّا أنّ الأمر المعرفيّ

(١) الكافي، باب: التوبة، ج ٢ ص ٤٣٤.

الذي يُضيفه النصُّ الشريف في هذه المرحلة هو بيانه لتراكمات التراجع عن الالتفات والتنبُّه عن الغفلة في المراتب الثلاث السابقة.

بمعنى: وقوع الإنسان في مرحلة جديدة من المشقة والصعوبة والغرق في براثن الغفلة، وذلك أنَّ النصَّ الشريف يكشف عن خطورة ترك الإنسان لمرحلة تقديم التوبة ومرحلة تقديم النصيحة للنفس، ومن ثمَّ وقوعه في شباك الشهوة وتغلبها على عقله؛ مما يتعدَّر عليه الخلاص من الغفلة؛ أي إنَّه سيقع فيما هو أشدُّ وأشقُّ وهو وقوعه في مرحلة الانخداع بالأمل وطوله، ونسيان الأجل وحضوره المفاجئ، كما سيمرُّ لاحقاً.

ومن ثمَّ: كيف يتخلَّص الإنسان من غلبة الشهوة عليه؛ كي ينجو من الغفلة؟ وجوابه في أمور؛ منها:

أولاً: قَصْدِيَّةِ النَّصِّ الشَّرِيفِ بِغَلْبِ الشَّهْوَةِ وَدَلَالَتِهِ .

ترشد الأحاديثُ الشريفة - ولا سيما المختصة بعلم الأخلاق - إلى أنَّ غَلْبَ الشهوة يُراد به أن يكون الإنسان عفيفاً؛ وذلك أنَّ مفهوم العِفَّة ومعناها هي تمكُّن الإنسان من كُسر شهوته والتغلب عليها فيما تدعوه إليه أي الشهوة إلا بما يُوافق ثوابت الشريعة.

وقد أوَّلَى علماء الأخلاق والتربية والتهديب فضيلة العِفَّة عنايةً خاصَّةً مستنديين في ذلك على ما تضافرت به النصوص الشريفة في بيانها لمنزلة العِفَّة وآثارها في عملية البناء القِيَمِيِّ والتنمويِّ للذات، ومنها:

١- روى الشيخ الكليني (رحمه الله) بسنده، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه

السلام)، قال:

«مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرَجٍ»^(١).

٢ - وروى أيضاً عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله (عليه

السلام) قال:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعَفَافُ»^(٢).

٣ - وروى (رحمه الله)، عن أبي بصير، قال: قال رجل لأبي جعفر (عليه

السلام): إني ضعيفُ العملِ قليلُ الصَّيامِ ولكنِّي أرجو أن لا آكلَ إلَّا حلالاً،

قال: فقال له:

«أَيُّ الْأَجْتِهَادِ أَفْضَلُ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرَجٍ»^(٣).

٤ - وروى (رحمه الله)، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): أَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِي النَّارَ

الْأَجْوَفَانِ: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ»^(٤).

٥ - وبإسناده قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

ثَلَاثٌ أَخَافُهُنَّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي: الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، وَمُضَلَّاتُ

الْفِتَنِ، وَشَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ»^(٥).

و تُرَشِّدُ الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةَ إِلَى بَيَانِ مَنْزِلَةِ الْعِفَّةِ وَأَثَرِهَا فِي غَلْبَةِ الشَّهْوَةِ

فِي عُنُورَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ يَقُومُ عَلَيْهِمَا بِنَاءُ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ؛ أَيِ الطَّعَامِ وَالنِّكَاحِ

(١) الكافي، باب العفة: ج ٢ ص ٧٩.

(٢) الكافي، باب العفة: ج ٢ ص ٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكافي، باب العفة: ج ٢ ص ٧٩.

(٥) المصدر نفسه.

ووسائل تحقيقهما، فما هي العِفَّة؟

١ - العِفَّةُ لُغَةً .

ذهب أعلام اللُّغة إلى أن الأصل في العِفَّة: «الكَفُّ عما لا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ»^(١).

وقال ابن سيده: «هو تَرَكَ كُلَّ قَبِيحٍ أو حرامٍ»^(٢).

وقال الراغب: «العِفَّةُ حصولُ حالةٍ للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعَفِّف المتعاطي لذلك بَضْرَبٍ من الممارسة والقَهْر، وأصله الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة، والعِفَّةُ أي البقيَّة من الشيء أو مجرى العفوف؛ وهو ثمر الأراك، والاستعفافُ طَلَبُ العِفَّةِ»^(٣).

٢ - منشأ العِفَّة في النفس .

وتنشأ العِفَّة في النفس «من الاعتدال في القوَّة الشهويَّة التي هي مبدأ طلب الغذاء وشوق التذاذ بالمواكل والمشارب والمناكح؛ واعتدالها بأن تقصر في هذه الأمور على قانون الشرع والعقل ولا يتجاوز عن حكمهما؛ وذلك بأن يعفَّ البطن والنفم عن الأكل والشُّرب من الحرام، والغيبة، والنميمة، والقذْف، والكذب، وشهادة الزُّور، والبُهتان، واللُّغو الهذيان، وغير ذلك من معاصي اللِّسان.

ويعفَّ الفرج عن الزِّناء وما يشبهه ويُلحق به الرِّفث والنظر واللَّمس

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج ٩ ص ٢٥٣.

(٢) المخصص: ج ١ ق ٤ ص ٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٩.

وجميع ما حُرِّم من مقدّماته، وعند ذلك يكون الشرع محفوظاً والعقل غالباً وتلك القوّة مغلوبة مقهورة لأمره ونهيه.

وأما إذا أفرط تلك القوّة في طلب اللذات البطنيّة والفرجيّة وخرجت عن حكمهما صار الشرع متروكاً مدرّوساً، والعقل مغلوباً مقهوراً، وصار الأميرُ مأموراً والسلطانُ رعيّةً كما في الأكثر؛ فإنّ عقولهم صارت خادمةً لشهواتهم، مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكورة ولو كان من الحرام.

ومّا ذكّر يظهر: أنّ عِفّة البطن والفرج عبادة أفضل العبادات؛ لأنّ كلّ ما يتّصف به العبدُ ويوجبُ قُرْبَ الحقِّ فهو عبادةٌ، ولها مراتب متفاوتة في الفضل، وأفضلها العِفّة بكسر القوّة الشهويّة؛ كسرهما مستلزمٌ لكسر القوّة الغضبيّة، لأنّ القوّة الغضبيّة مُعينة للقوّة الشهويّة في تحصيل مقتضاها برّفع الموانع على وجه التسلُّط، ومن البيّن أنّ العِفّة بكسر هاتين عبادةٌ وأصلُ لسائر العبادات فهي أفضلها^(١).

ومن ثمّ: استعان علماء الأخلاق والتربية على تمكين النفس من غلبة الشهوة بقاعدة المحاسبة والمراقبة النفسيّة؛ ابتغاء الوصول إلى العِفّة التي عدّوها أحدَ أصول الفضائل الأخلاقيّة الأربعة؛ أي «الحكمة، والعِفّة والشجاعة، والعدالة»^(٢)، وهي على النحو الآتي:

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ٨ ص ٢٥١.

(٢) جامع السعادات، النراقي: ج ١ ص ٧٠.

ثانياً: أثر قاعدة المراقبة والمحاسبة بتحقيق غلب الشهوة.

اهتمَّ الإسلامُ اهتماماً بالغاً في تربية المسلم على الإيمان بالغيب واستحضار الشعور بأنه مُرَاقَبٌ من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) والمؤمنون ولا سيَّما الملائكة الكاتبين، وذلك عبر جملةٍ من الآيات والأحاديث الشريفة الكاشفة عن أثر المراقبة والمحاسبة في عملية البناء القيميِّ للنفس وتنميتها على الفاضل.

على الرغم من تفاوت آراء علماء الأخلاق والتربية والسلوك وغيرهم ممن اهتمُّوا ببيان النصوص الشريفة وحثُّها على صلاح الإنسان بين تقديم المحاسبة على المراقبة^(١) أو العكس^(٢) أو فصلها عن بعضهما وجعلها مقامين لكلٍّ منهما شروطه وآثاره، في حين ذهب آخرون إلى الجمع بينهما فمؤدَّاها واحد وآثارهما واحدة، إلا أن الأمر الذي لا خلاف فيه هو أثر هذه القاعدة في البناء القيميِّ للنفس وتهذيبها وبناء قدراتها؛ وهما على النحو الآتي:

١- أثر مراقبة النفس في تحقيق غلبة الشهوة.

لقد دَعَمَ القرآنُ هذه العقيدة بجملةٍ من الآيات المباركة، فمنها:

قال تعالى في محكم كتابه:

١- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١١ ص ٢٠٣، رياض الصالحين، النووي: ص ٩٠-٩٥.

(٣) التوبة: ١٠٥

- ٢ - ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١).
- ٣ - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٢).
- ٤ - ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٣).
- ٥ - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

وغيرها من الآيات المباركة، أمّا بالنسبة للأحاديث الشريفة؛ فمنها:

١ - قال (صلى الله عليه وآله) لأحد أصحابه:

«أَعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٥).

٢ - وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَنَجَا، رَاقِبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا...»^(٦).

٣ - وروى الشيخ الكليني (رحمه الله) عن إسحاق بن عمارة، قال: قال أبو

عبد الله (عليه السلام):

«يَا إِسْحَاقُ، خَفِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَهُ بِالْمَعْصِيَةِ

(١) النساء: ١.

(٢) الرعد: ٣٣.

(٣) الشعراء: ٢١٩ - ٢٢٠.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) شعب الإيمان، البيهقي: ج ٧ ص ٣٤٩.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة (٧٣).

فَقَدْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَهْوَنِ النَّاطِرِينَ عَلَيْكَ»^(١).

وغيرها من الآيات والأحاديث الكاشفة عن أثر المراقبة في التربية وبناء الذات؛ وذلك أن المراقبة «عِلْمُ الْعَبْدِ بِاطِّلَاعِ الرَّبِّ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ؛ وملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، وأعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أن الله تعالى عليه رقيب ومنه قريب، يعلم أفعاله، ويرى حركاته، ويسمع أقواله، ويطلع على أسراره، وأنه ينقلب في قبضته وناصيته وقلبه بيده، وأنه لا طاقة له على السّتر عنه ولا على الخروج من سلطانه.

ومن علامات المراقبة إظهار ما أثر الله وتعظيم ما أعظم الله وتصغير ما صغر الله، فالرجاء يثبتك على الطاعات، والخوف يُبعدُ عن المعاصي، والمراقبة تُؤدّي إلى طريق الحياء وتحمل على ملازمة الحقائق والمحاسبة على الدقائق، وأفضل الطاعات مراقبة الحقّ سبحانه وتعالى على دوام الأوقات، ومن سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة والمراقبة وسياسة نفسه باطِّلاع الله ومشاهدته لها، وأنها لا تغيب عن نظره ولا تخرج عن علمه»^(٢).

٢- أثر محاسبة النفس في تحقيق غلب الشهوة.

مثلما اهتم القرآن والعِرة النبوية (عليهم السلام) بالمراقبة وبيان آثارها على بناء الذات وتهذيب النفس، كذلك اهتمّ بالمحاسبة وبيان آثارها في تنمية غلب الشهوة، والتنبه من الغفلة، والرّجوع إلى الله عبر التوبة؛ قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَبثٍ لَنَجْزِيَنَّهَا بِهَا عَذَابًا عَظِيمًا﴾

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٨.

(٢) إرشاد القلوب، الديلمي: ج ١ ص ١٢٨.

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١﴾.

وقد تناولت كثيرًا من المصادر محاسبة النفس وبيان آثارها عبر الروايات الشريفة، فضلًا عن التصنيف فيها بنحوٍ مستقلٍّ، إلا أننا نُورِدُ ثلاثة شواهد على ذلك ففيها الكفاية في بيان مقاصدِة البحث؛ وهي:

١- روى الحرُّ العامليُّ (رحمه الله) عن أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) في وصية النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال:

«يا أبا ذرٍّ حاسبِ نفسك قبل أن تُحاسبَ؛ فإنه أهونُ لحسابك غدًا، وزن نفسك قبل أن تُوزنَ، وتجهزْ للعرضِ الأكبرِ يومَ تُعرضُ لا تخفى على اللهِ حافيةً» - إلى أن قال -:

«يا أبا ذرٍّ لا يكونُ الرجلُ من المتقين حتى يُحاسبَ نفسه أشدَّ من مُحاسبة الشريكِ شريكه؛ فيعلمَ من أينَ مطعمُهُ، ومن أينَ مشربُهُ، ومن أينَ ملبسه، أمن حلالٍ أو من حرامٍ، يا أبا ذرٍّ من لم يُبالِ من أينَ اكتسبَ المالَ لم يُبالِ اللهُ من أينَ أدخله النارَ»^(٢).

٢- وروى (رحمه الله) عن الإمام الحسن بن عليِّ العسكريِّ (عليهما السلام) عن آبائه، عن عليِّ (عليهم السلام)، عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

«أَكْبَسُ الْكَيْسِيِّنَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ:
يا أمير المؤمنين كيف يُحاسبُ نفسه؟ قال:

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ١٦ ص ٩٨.

إِذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: يَا نَفْسِي إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَضَى عَلَيْكَ لَا يَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَاللَّهُ يُسْأَلُكَ عَنْهُ بِمَا أَفْنَيْتَهُ، فَمَا الَّذِي عَمِلْتَ فِيهِ؛ أَذَكَرْتَ اللَّهَ أَمْ حَمِدْتَهُ؟ أَقْضَيْتَ حَوَائِجَ مُؤْمِنٍ فِيهِ؟ أَنْفَسْتَ عَنْهُ كُرْبَةً؟ أَحْفَظْتَهُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ؟

أَحْفَظْتَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مُحَلِّفِيهِ؟ أَكَفَفْتَ عَنْ غَيْبَةِ أَخٍ، مُؤْمِنٍ مُسْلِمًا؟
مَا الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ؟

فَيَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْهُ؛ فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَإِنْ ذَكَرَ مَعْصِيَةً أَوْ تَقْصِيرًا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزِمَ عَلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهِ»^(١).

٣- وروى ابنُ شعبة الحِزَّانِيُّ (رحمه الله)، عن أبي حمزة الثماليِّ، قال:

كان عليُّ بن الحسين (عليه السلام)، يقول:

«ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظْ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَا كَانَتْ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ، وَمَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَارًا، وَالْحَذَرُ لَكَ دِثَارًا..»^(٢).

وذلك أنَّ حقيقة محاسبة النفس «أن يضبط عليها أعمالها وحركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها، ولا يغفل عن مراقبتها، ويصرفها إلى الخيرات، ويزجرها عن المنهيات، ويُعاقبها ويُجاهدها ويُعاقبها؛ فَإِنْ رَأَى أَنَّهَا مَالَتْ إِلَى كَسْبِ مَعْصِيَةٍ أَوْ تَرْكِ طَاعَةٍ يُؤَبِّخُهَا؛ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَمَقِ وَالْجَهْلِ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَبِعُقُوبَاتِهَا، وَخَسْرَانِهَا، وَيُجَاهِدُهَا حَتَّى تَرْجِعَ عَنْهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَيُعَاقِبُهَا بِتَرْكِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ، وَتَحْمِيلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُنْدُوبَاتِ، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهَا؛ لِيَنْقَطِعَ

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ١٦ ص ٩٨.

(٢) تحف العقول، الحِزَّانِيُّ: ص ٢٨٠.

مِيلُهَا إِلَى فِعْلِ الْمُنْهَيَاتِ وَتَرْكِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ بِهَا فِي حَالِ جَمِيعِ الْاِكْتِسَابَاتِ حَتَّى تَصِيرَ مَنْقَادَةً مَطْمَئِنَّةً»^(١).

وَمِنْ ثَمَّ: يُصْبِحُ الْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى التَّعْفُفِ وَكَسْرِ شَهْوَتِهِ وَالتَّحَكُّمِ بِهَا وَيَتَنَبَّهُ إِلَى خَطُورَةِ الْغَفْلَةِ عَنِ التَّوْبَةِ؛ عَبْرَ مَحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَمِرَاقَبَةِ أَحْوَالِهَا وَإِرْجَاعِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ وَبِخِلَافِ ذَلِكَ سَيُوقِعُ نَفْسَهُ فِي أخطرِ الْمَرَاتِبِ وَأَعْسَرِهَا عَلَيْهِ وَهِيَ طَوْلُ الْأَمْلِ؛ أَيِ إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي قَعْرِ جُبِّ الْغَفْلَةِ عَنِ التَّوْبَةِ مِمَّا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ وَالْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ مَا سَنَتَنَاوَلُهُ فِي السَّبَبِ الْخَامِسِ مِنْ أَسْبَابِ وَقُوعِ الْإِنْسَانِ فِي الْغَفْلَةِ عَنِ التَّوْبَةِ.

المسألة الخامسة: الانخداع بالأمل.

يُرْشِدُنَا قَوْلُهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ):

«فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ»

إِلَى بَيَانِ أَثَرِ الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ فِي سُلْمِ الْبِنَاءِ الْقِيَمِيِّ لِلنَّفْسِ؛ عَبْرَ التَّنَبُّهِ إِلَى خَطُورَةِ الْاِنْخِدَاعِ بِالْأَمْلِ، وَهُوَ كَمَا أَسْلَفْنَا يَكُونُ نَتِيجَةً لِتَرَاكُمِ الْأَسْبَابِ الْأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ؛ أَيِ تَرْكِ التَّقْوَى وَالنَّصِيحَةِ، وَتَأْخِيرِ التَّوْبَةِ وَتَقْدِيمِ الشَّهْوَةِ، فَيَنْخَدِعُ الْإِنْسَانُ بِطَوْلِ الْأَمْلِ؛ وَلَا سِيَّمَا انْغَمَّاسَهُ بِالشَّهْوَاتِ فَهِيَ الْمُرْتَكِزُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ طَوْلُ الْأَمْلِ، وَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى التَّعْفُفِ وَالزُّهْدِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمْلِ»^(٢).

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ١٢ ص ١٤١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨١.

من هنا: تكمن صعوبة هذه المرتبة والمرحلة في ملازمتها لسِتْرِ الأَجَل؛
مَّا يُفَاقِمُ الشعور والتسليم للأمل، فينقاد خلفه الإنسان وكأنه سَيَعْمُرُ
لَعَشْرَاتِ السنين وهو في غفلة تامّة عن التوبة والتنبه إليها، فيوافيه الموت
على حاله غارقاً في المعاصي والآثام قد ملأ منها صحيفة أعماله وقد خسر
الدنيا والآخرة، وهو ما حذّر منه أمير المؤمنين (عليه السلام):
«فِيهَا لَهَا حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي عَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ
أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ».

كما سيمرّ بيانه في المبحث الثاني.

ومن ثمّ: يتّضح أثر تسافل مسير الإنسان في سلّم الأسباب المكوّنة
للغفلة عن التوبة وخطرها عليه؛ وذلك لتراكم تداعيات المراتب السابقة
التي مرّ بيانها.

من هنا: نجد النصوص الشريفة قد أولت موضوع الأمل اهتماماً خاصاً؛
وذلك لما له من آثار عدّة على حياة الإنسان ومسيره، بل وعاقبة أمره، قال تعالى:
﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

أمّا ما ورد في نهج البلاغة والصحيفة السجّادية فكثير؛ منها:

١ - قال أمير المؤمنين في تحذير آخر للناس من اتّباع الهوى وطول الأمل:
«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ، ائْتِنَانِ: اتِّبَاعُ الْهُوَى وَطُولُ الْأَمَلِ،
فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيُضِدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ»^(٢).

(١) الحجر: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٤٢.

٢ - وقال (عليه السلام):

«واعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ، فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ»^(١).

٣ - وقال (عليه السلام):

«اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوَا الْأَجَلَ»^(٢).

٤ - وَقَالَ (عليه السلام) لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ:

«لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِبِينَ»^(٣).

ومما جاء في الصحيفة السجادية؛ قال الإمام زين العابدين (عليه السلام):

١ - «اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ، وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ؛ حَتَّى التَّمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمُرْزُوقِينَ، وَطَمَعْنَا بِأَمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ»^(٤).

٢ - وقال (عليه السلام):

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْفَظْنَا طُولَ الْأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ؛ حَتَّى لَا نُؤَمَّلَ اسْتِثْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلَا اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ، وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ وَسَلَّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَأَمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٤.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ١٥٠.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء: ٢٩.

(٥) الصحيفة السجادية، الدعاء: ٤٠.

٣- وقال (عليه السلام):

«فَأَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ سُؤَالَ مَنْ نَفْسُهُ لَاهِيَةٌ لِطُولِ أَمَلِهِ، وَبَدَنُهُ غَافِلٌ لِسُكُونِ عُرْوَقِهِ، وَقَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَثْرَةِ النَّعْمِ عَلَيْهِ، وَفِكْرُهُ قَلِيلٌ لِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. سُؤَالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَمَلُ، وَفَتَنَهُ الْهُوَى، وَاسْتَمَكَّتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، وَأَظْلَمَ الْأَجَلَ»^(١).

وغيرها من الأحاديث الكاشفة عن آثار طول الأمل في انغماس الإنسان في الغفلة عن التوبة وترديته في شباكها ولا سيما إذا أضيف لها الأسباب المتعلقة بالشیطان وهما: التزيين والتسويق؛ مما يُعطي كاشفيّة عن خطورة ما يقع فيه الإنسان في رحلته الحياتيّة، فضلاً عن كاشفيّته عن أهمّ الأسباب المرديّة به في ضياع العمر والحسرة والهلکة، وهو ما نشاهده في كثير من المجتمعات التي تموج في الغفلة عن التوبة أجازنا الله منها، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم.

المبحث الثاني

أسباب الغفلة العائدة إلى الشيطان

يُرشدنا قولُ أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)

«وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُؤَمِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»

- موضع البحث - إلى تحديد مرحلة جديدة من مراحل نشوء الغفلة عن التوبة، أي مرحلة التزيين والتسويف العائدة إلى الشيطان وليس الإنسان، وهي من حيث الأثر تكون بعد تعلق الإنسان بشباك الغفلة وتسافله في النزول إلى المرتبة الخامسة من مراتب سلم التردّي؛ أي الانخداع بالأمل، كما مرّ بيانه في المسألة السابقة.

ومن ثمّ سنتناول في هذه المسألة الأسباب المتعلقة بالشيطان عبر التزيين والتمنية، وهما على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تزيين المعصية.

لعلّ من البدهة بمكان أن يكون موضوع التزيين من المواضيع التي حظيت باهتمام الشريعة ولا سيما في حقل الأخلاق والتربية وتهذيب النفس في عملية البناء القيمي للإنسان؛ وذلك عبر جملة من الآيات المباركة والنصوص الشريفة.

وقد يكون من نافلة القول هو التعريف بمعنى التزيين والزينة، ولكن لأبّد من إحاطة القارئ الكريم بدلالة النصوص الشريفة في مادّة الدراسة؛ أي كتابي نهج البلاغة والصحيفة السجّاديّة.

أولاً - الزینةُ لغماً.

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في معنى التزيين والزينة:
«الزاء والياء والنون، أصلٌ صحيح يدلُّ على حُسن الشيء وتحسينه،
فالزین نقيض الشین، يقال: زَيَّنْتُ الشيءَ تَزِينًا وأزینتُ الأرضَ وأزَيَّنْتُ
وازدانْتُ إذا حسنَها عشبها»^(١).

ومن ثمَّ فإنَّ المعنى اللغويَّ لتزيين المعصية ودلالته يكمن في تحسينها
وتجميلها في عين الإنسان، ولو تكشَّفتُ له الحقيقةُ ورأى قُبْحَها وتنت رائحتها
لنَفَرَ منها نفورُهُ من النجاسات والقاذورات وجيف الجُثث المتعفِّنة.

لكن المشكلة تكمن في انخداع الإنسان بتزيين الشيطان للمعصية فيقع
بها، ومن ثمَّ يجد نفسه بعد ارتكابه المعصية في ألمٍ وهَمٍّ ونُفورٍ؛ والعلةُ في ذلك
تكشَّفُ حقيقةَ المعصية التي وقع بها وبأنَّ له قُبْحَها.

ثانياً. دلالة النصِّ في توكيل الشيطان بالإنسان.

يبتدئ الإمامُ أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حقيقة عمل الشيطان
وطبيعته عبر توكيل الله له بالإغواء وهي مسألة عقديَّة مهمَّة؛ وذلك لبيان ما
يُحيط بالإنسان من أخطارٍ عديدة ولعلَّ من أهمِّها توكيل الشيطان به.
ومن ثمَّ: نجد القرآن الكريم والنصوص الشريفة قد بيَّنتُ وحدَّرتُ
ونبَّهتُ إلى هذه الحقيقة، فمنها:

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٤١.

١ - حقيقة التوكيل.

وقد بينها القرآن في سلسلة من الآيات الكاشفة عن وقوع الشيطان في التكبر والاعتزاز بنفسه؛ فوجدها - أي نفسه - أفضل من آدم (عليه السلام)؛ وهو ما جاء في قوله تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

فطرده الله تعالى من رحمته وعاقبه بالخروج من السماء إلى الأرض، قال تعالى:

﴿قَالَ فَاهْبُطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٢).

لتبدأ معها مرحلة التوكيل بالإنسان عبر تزيين المعصية وإيقاعه في التهلكة مثلما وقع هو في برائن نفسه وتسويلها له بالتكبر على أمر الله تعالى.

قال تعالى في بيان هذه الحقيقة الابتلائية بالإنسان ليحي من يحا عن بينه ويهلك من يهلك عن بينه وما الله بظلام للعبيد:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٣).

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الأعراف: ١٣.

(٣) الإسراء: ٦١-٦٥.

ومن ثمَّ: فإنَّ الذي وقع فيه الشيطان جعله وسيلةً لإيقاع الإنسان؛ أي مثلما زينت له نفسه المعصية في كونه أفضل من هذا المخلوق الذي سيجعله الله خليفته في الأرض، كذلك يسعى الشيطان عبر هذه الوسيلة إلى إيقاع آدم في المعصية.

فكان أول ما قام به (لعنه الله) أن زين لآدم وحواء (عليهما السلام) الاقتراب من الشجرة ليأكلًا منها، فأغواهما الشيطان، أي خدعهما عبر التزيين، ولقد أظهر القرآن أن التزيين وقع عبر قيام الشيطان بالقسم لهما بأن الأكل من الشجرة سيُمكِّنهما من أن يكونا من المقربين، فبان لهما حُسْنُ الاقتراب منها وأكل ثمارها.

وقد روى الشيخ الصدوق حقيقة الحادثة عن الإمام الرضا (عليه السلام)، فقال:

«عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى (عليهما السلام)، فقال له المأمون:

يا بن رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ قال:

بلى، قال:

فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١)، فقال (عليه السلام):
إنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٢).

(١) طه: ١٢١.

(٢) البقرة: ٣٥.

وأشار لهما إلى شجرة الخنطة: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما، وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾^(١)، وإنما ينهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢)، ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا: ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(٣)، فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله؛ وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم.

فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

٢ - تحذير القرآن من الشيطان.

إلا أن هذا التوكيل الذي جاء في عدد من الآيات التي مرَّ بيائها قد قابله

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) الأعراف: ٢١.

(٣) الأعراف: ٢٢.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٧٥.

القرآن بجملة من الآيات التي تُحذّر الإنسان ممّا يُحيطُ به، مثلما حذّر الله تعالى آدمَ وحواءَ (عليهما السلام)، قال تعالى:

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

وعلى هذا النهج سارت الأنبياء والأوصياء والأئمة (عليهم السلام)؛ ولا سيّما ما تضمنه كتابا نهج البلاغة والصحيفة السجّادية بوصفها مادة الدراسة.

ومن ثمّ: لم يكن لهذا التوكيل سلطاناً على الإنسان ولا سيّما مع بيان القرآن والكتب السابقة، بل وما بعث الله نبياً إلاّ وقد حذّر من الشيطان منذ أن خلق الله آدم (عليه السلام).

من هنا: يتّضح لنا أن الحكمة في جعل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أسباب الغفلة المتعلقة بالإنسان خمسة وبالشیطان اثنين؛ وذلك لِضَعْفِ كَيْدِهِ، وما جعل الله تعالى من أسباب الرحمة المحيطة بالإنسان لِتَقْيِهِ مِنْ شَرِّ إِبْلِيسَ ولا سيّما عبر الاستعاذة بالله منه.

أمّا السبب الثاني، أي التسوية وأثره في وقوع الإنسان بالغفلة عن التوبة، فهو على النحو الآتي:

المسألة الثانية: تمنية التوبة.

يُرشد قولُه (عليه الصلاة والسلام): «وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا» إلى بيان تداعيات السبب الثاني المتعلق بالشيطان في حدوث الغفلة عن التوبة؛ أي التمنية، لِيُوقِعَهُ فِي التَّسْوِيفِ، وَمَنْ تَمَّ مَا هِيَ التَّمْنِيَّةُ، وَكَيْفَ تَتَمُّ فِي النَّفْسِ، وَمَا هُوَ حُجْمُ ضَرَرِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ؟

أَوَّلًا. التَّمْنِيَّةُ لُغَةً.

قال أهل اللُّغَةِ فِي بَيَانِ مَعْنَى التَّمْنِيَّةِ: إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ «الْأُمْنِيَّةِ: أُنْفَعُولَةٌ وَجَمْعُهَا الْأُمَانِي.

وَرَبِمَا طُرِحَتِ الْأَلْفُ، فَقِيلَ: مُنِيَّةٌ عَلَى فُعْلَةٍ وَجَمْعُهَا مُنِيٌّ.

والتَّمْنِيَّةُ: حَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَبِمَا لَا يَكُونُ، وَفِي الْحَدِيثِ:

(إِذَا تَمَّنَى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ)، وَفِي رِوَايَةٍ: فَلْيَكْثِرْ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:

التَّمْنِيَّةُ تَشْهِي حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا

لَا يَكُونُ، وَالْمَعْنَى إِذَا سَأَلَ اللَّهُ حَوَائِجَهُ وَفَضَّلَهُ فَلْيَكْثِرْ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ كَثِيرٌ وَخَزَائِنُهُ وَاسِعَةٌ.

وَتَمَنَّى الشَّيْءَ أَي قَدَّرْتَهُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيَّ مِنَ الْمَنَى وَهُوَ الْقَدْرُ^(١).

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْبَيَانِ اللَّغَوِيِّ أَنَّ النَّصَّ الشَّرِيفَ يُرْشِدُ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي

فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ سَيَصِيرُ إِلَى التَّوْبَةِ فِي لَاحِقِ الْأَيَّامِ فَيُرَغِّبُهُ بِحُصُولِهَا فِي

الْمُسْتَقْبَلِ؛ وَذَلِكَ لِيَبْقَى عَلَى الْمَعَاصِي حَتَّى يَسْتَمِرَّ بِهِ الْوَقْتُ وَيَدْوَامَ عَلَى

التَّأْجِيلِ فَيَقَعُ فِي التَّسْوِيفِ.

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٥ ص ٢٩٤.

ثانياً. التسوييفُ لُغَةً.

وقد يتساءل المرءُ عن التسوييفِ فما معناه؟

هو: التأخير من قولك: سوف أفعل كذا^(١).

وقال سيبويه: «(سوف) كلمة تنفيسٍ فيما لم يكن بعد؛ ألا ترى أنك تقول سَوِّفْتُهُ إذا قلت له مرّةً: بعد مرة سوف أفعل، ولا يُفصّلُ بينها وبين الفعل لأنّها بمنزلة (السّين) في (سيفعل)، وقولهم: فلان يقتات السّوف؛ أي يعيش بالأمانى والتسوييفِ المطل»^(٢).

ثالثاً. مفهوم التسوييفِ.

أي إنّ الإنسان يخلق لنفسه التأخير في الرجوع إلى الله تعالى ليتوب إليه ممّا اقترفه من الذنوب فيما ظل مع نفسه؛ وذلك لتغريير الشيطان به في التأخير كي يبقى في وهم التمنيِّ بحصول التوبة.

المسألة الثالثة: ما هي غاية الشيطان من التزيين والتمنيّة وهل تساعد البيئة على تحقيق غايته؟

قد يتبادر في النفس سؤالٌ مفادُه: ما هي غاية الشيطان في تزيين المعصية وتمنية التوبة؟

والإجابة من عدّة أوجه، منها،

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٧ ص ٣٠٩.

(٢) مختار الصحاح، الرازي: ص ١٧١.

أولاً - امتداد غفلة الإنسان إلى الموت.

ويتجلّى ذلك في النصّ الشريف، بل إنّ أعجب ما في النصّ هو بيانه حقيقة سَيْرِ الإنسان في الحياة، فهو ضائع بين الأسباب تائه في أمره، في حين إنّ الشيطان مُدْرِكٌ لما يُريد عَارِفٌ بما يفعل، فهدّفه أن «يُزَيِّنَ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيَمْنِيَهُ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا»؛ والنتيجة التي يُريدها الشيطان من ذلك أن يكون الإنسان «إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا»؛ أي عن التوبة فيهلك.

ثانياً - إيصاله إلى الحسرة على تضييع عمره.

إنّ غاية ما يسعى إليه الشيطان بوصفه عدو الإنسان، هو إيصاله إلى حالة الحسرة، وشعور المرارة بالخسران، وإيقانه بالهلاك؛ فقد فات الأوان وحضرتُه ملائكة الموت وانكشف عنه غطاء الغفلة، وأيقن أن لا عودة إلى الحياة الدنيا ولا فرصة له في الالتجاء إلى التوبة.

وسيمرُّ مزيدٌ من البيان في الفصل الثاني في دلالة الحسرة - بعون الله - .

ثالثاً - أثر البيئته في الوقوع بشباك الشيطان أو النجاة منه.

قد تكون البيئَةُ التي تُحيط بالإنسان وفيها يتواجد، عاملاً في تنبيهه من الغفلة أو في وقوعه فيها حتّى يدركه الموت فيكون في ضياعٍ لعمره ويُحقّق بذلك ما يبتغيه الشيطان - أعادنا الله من شروره - فيوقعه في الخسران المبين، على الرغم من وجود القدرة في كثيرٍ من الأحيان على اختيار البيئَةِ التي يخفُّ فيها الابتلاء؛ كمن يرى في ليله ونهاره مَنْ يُذكِّره بالله تعالى من أهل الإيمان والورع فيكون فيها البلاء بين الشدّة والرخاء؛ فهو إمّا أن تكون عليه

الحُجَّةَ أعظم يوم القيامة لغفلته مع وجود المذكَّر له من أهل الصلاح، وإمَّا يكون في رخاء من البلاء فيتنبَّه للتوبة في مُدَّةٍ أقصر، أو يكون في بيئة مغايرة؛ فيعيش بين أهل الفتن والفُجُور فيشتدُّ به البلاء وتطول عليه الغفلة لتعاطم هذه الأسباب السبعة.

ومن ثمَّ: لا بُدَّ للإنسان أن يلتفتَ إلى البيئة التي يتواجد فيها؛ فقد تكون عونًا له أو عليه بإيصاله إلى مبتغى الشيطان في ضياع عمره وقد تعاضمت عليه الحُجَّة.

من هنا: نجد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يتحسَّر على الإنسان الغافل عن التوبة حتَّى يُدركه الموتُ، فيكون عمره حُجَّةً عليه يوم القيامة، وأن تُؤدِّي به أيَّام حياته إلى الشقوة الأبدية. كما سيمرُّ بيأئه في المباحث والمسائل القادمة بعون الله تعالى.

الفصل الثاني

آثار الغفلة عن التوبة في الدنيا
وعند الموت

توطئة:

يُرشدنا الحديث الشريف في نهج البلاغة، أي قوله (عليه الصلاة والسلام):

«فَيَا هَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ، نَسَأَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً»^(١) إلى بيان النتائج والمقدمات والآثار الناتجة عن غفلة الإنسان عن التوبة، وقد امتاز كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعرض نتائج الغفلة ثم أتبعه بالمقدمات ثم الآثار؛ والحكمة في ذلك أنه أراد أن ينبّه السامع إلى خطورة الغفلة عن التوبة، فيحدث صدمة في ذهن المتلقي بوصفه غافلاً عما يُحيطُ به من خطر، ولذا قدّم النتائج على الأسباب المكوّنة للغفلة وما تُحدثه من آثار، وهو أمر جرى في كثير من الآيات وأسماء السور القرآنيّة كالقارعة والحاقة، وكذا جرى الحال في الصحيفة السجّاديّة، أي قوله (عليه السلام):

«وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى، وَأَشَقَى الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْمَأْبِ، وَجِرْمَانِ الثَّوَابِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٦.

(٢) الصحيفة السجّاديّة، الدعاء الثامن: ص ٥٨.

وقوله (عليه السلام): «فاجعل ما سترت من العورة، وأخفيت من الدخيلة، واعظاً لنا، وزاجراً عن سوء الخلق، واقتِراف الخطيئة، وسعيًا إلى التوبة الماحية، والطريق المحمودة وقرب الوقت فيه، ولا تسمننا الغفلة عنك، إننا إليك راغبون، ومن الذنوب تائبون».

فضلاً عن ذلك فقد أظهرت النصوص الشريفة - موضع الدراسة - آثار الغفلة فيما بين الدنيا والآخرة؛ أي من اللحظات الأولى للاحتضار وقبض الروح والانتقال إلى البرزخ والقبر، ومن ثم اشتمل الفصل على مبحثين، وهما كالآتي:

المبحث الأول

أثر التبَطُّر والغاية في تسافل الذات الإنسانية

المسألة الأولى: معنى التبَطُّر ودلالته.

ينتقل بنا النصُّ الشريف في عملية التنمية لأحد أهمِّ القيم الإنسانية ومَنع تَسَافُل الذات وتحوُّلها إلى البهيمة عبر استسلام العقل للقوة الشهوية وطُغيانها؛ أي التنبُّه من الغفلة والرُّجوع إلى الله تعالى عبر التوبة والالتفات إلى ما يصل بالنفس إلى الرُّقيِّ والكمال في الدنيا وما يُنجيها من عذاب يوم القيامة؛ لينال بذاك الإنسان شرفيةً تفضيله على الملائكة وتكريمه على كثير ممَّا خلق الله، فيُظهر لنا النصُّ الأثرَ الأوَّل من آثار الغفلة على الإنسان في الحياة الدنيا؛ ألا وهو البَطْرُ وخطورته على الإنسان، وهو ما تجلَّى عبر توجُّه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الله تعالى بالدُّعاء فيسأل الله التوفيق له ولمن سَمِعَ دعاءه وفهمَ كلامه بالنجاة والخلاص من البَطْرِ؛ ومن ثمَّ فما هو البَطْرُ وما هي أسبابه الناشئة في النفس؟

ومن ثمَّ لا بُدَّ من الرُّجوع إلى أهل اللُّغة لبيان معنى البَطْر وحقيقته؛ ولا سيَّما أنَّهم ذكروا له معاني عدَّة تكشف عن سَعَةِ مفهوم اللَّفْظ وتعدُّد استعماله، أمَّا ما ذهب إليه غيرُ واحدٍ من شُراح نهج البلاغة في تحجيمه بمعنى واحدٍ كقول ابن ميثم (رحمه الله):

«تجاوز الحدَّ في الفرح»^(١) فهو ممَّا يُؤدِّي إلى اختزال المعنى وسَعَةِ المفهوم،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ٢ ص ١٦٢.

فضلاً عن التقصير في قصديّات النصّ الشريف ودلالاته؛ ولا سيّما في تنمية القيم الإنسانيّة والرقيّ بالذات.

ومن ثمّ: فقد ورد في معنى البطر، بأنّه:

«النشاط، وقيل: التبخر، وقيل: قلة احتمال النعمة، وقيل: الدّهش والحيرة».

وأبطره أي: أدهشه؛ وقيل: هو كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية.

والبطر: الأشر، وهو شدة المرح.

وفي الحديث: (لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى مَنْ جرَّ إزاره بطراً)^(١).

البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.

وفي الحديث: (الكبرُ بطرُ الحق)^(٢).

هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيدهِ وعبادته باطلاً، وقيل: هو أن يتخير عند الحق فلا يراه حقاً، وقيل: هو أن يتكبر من الحق ولا يقبله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾^(٣)؛ أراد: بطرت

في معيشتها، فحذف وأوصل؛ قال أبو إسحق: نَصَبَ (معيشتها) بإسقاط (في) وعمِلَ الفعل، وتأويله: بَطَرَتْ في معيشتها.

وفي حديث ابن مسعود عن النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، أنّه قال:

(١) صحيح البخاري: ج ٧ ص ٣٤.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٦٥.

(٣) القصص: ٥٨.

(الكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَضُ النَّاسِ) (١).

وَبَطَّرَ الْحَقُّ: أَنْ لَا يَرَاهُ حَقًّا وَيَتَكَبَّرُ عَنْ قَبُولِهِ (٢).

ومن ثمَّ يُرشدُ المعنى اللُّغوي إلى أَنَّ الإنسانَ بفعلِ البَطْرِ يمتنع من التوجُّه إلى الله تعالى، وهو مُقَرَّرٌ بالتقصير والإساءة في حقِّ الله تعالى، بل يرى أنه غيرُ مُذنبٍ أو مُسيءٍ؛ ممَّا يُؤدِّي به إلى التكبر والتجبر - والعياذ بالله - تعالى، ومن ثمَّ التلبُّس في وحل النفسِ الأمَّارة وطُغيانها، فيتدرَّج متسافلاً في سُلَّم الرذائل؛ من ظلم نفسه ووالديه وعياله إلى ظلم الناسِ وليستدرجه الله تعالى بما كسبت يدها إلى النار؛ وهو ما صرَّحت به جملةٌ من الآيات المباركة التي بينت أهمية طلب العفو والمغفرة؛ وذلك كي لا يقع الإنسانُ في آثار الإعراض عنها في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً وَأَنْذَرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٣).

(١) مسند أحمد: ج ٤ ص ١٣٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج ٤ ص ٦٩.

(٣) إبراهيم: ٤١ - ٤٥.

المسألة الثانية: سبب نشوء البطر.

وسببه الانشغال بالنعمة؛ أي: تجعله النعمة متكبراً طاعياً، يُغالي في زهوه واستخفافه، فيقع في الغفلة عن التوبة.

ولخطورة البطر والتبطر فقد حذر القرآن في جملة من الآيات المباركة من البطر وبين نتائج الوخيمة على الإنسان؛ فكان من أبرزها الطغيان، ونكران الحق وعدم الأخذ به، والرد على قائله سواء كان صغيراً أم كبيراً، وهو ما ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) ببطر الحق، ومن ثم الوقوع في شبك الغفلة، فمما جاء في ذلك، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأُوتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿٨﴾﴾.

«وهذه الآيات بأسرها تدل على أن النعمة بالنسبة إلى بعض الأفراد الذين ليس لهم استعداد قويّ تؤجّب الانحراف عن مسلك الحق والطغيان على الله تعالى بالقول والعمل»^(٦).

(١) العلق: ٦.

(٢) النازعات: ٣٧.

(٣) الفجر: ١١.

(٤) طه: ٤٥.

(٥) النازعات: ١٧.

(٦) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، النقيّ: ج ٧ ص ٤٤٣.

وذلك أنَّ البَطَّرَ «رذيلةٌ تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع»^(١)، فكيف لا يسأل أمير المؤمنين (عليه السلام) الله التوفيق في النجاة منه؟!!

المسألة الثالثة: أثر الغاية في تسافل الذات الإنسانية

في المورد الثاني في دعائه يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَن طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً». فما هي الغاية وكيف يكون لها أثر في التقصير عن طاعة الله.

أولاً: معنى الغاية.

الغاية: «مدى كلِّ شيء وقصاره، وألفه ياء، وهو من تأليف غَيْنٍ وياءين، وتصغيرها: غِيَّية، وكذلك كلُّ كلمةٍ مما يظهر فيه الياء بعد الألف الأصلية، فألفها ترجع في التصريف إلى الياء؛ ألا ترى أنك تقول: غُيَّيت غاية»^(٢).

ومما يرد في بيان معناها أنك «تقول: أنت بعيد الغاية في صواب الرأي؛ ومن شأن السَّبْقُ بعد الغاي جمع غاية، وأظَلَّتني همومٌ كأنها غياية، وهي كلُّ ما أظَلَّك من غمامة أو عجاجة أو نحوهما؛ وفي الحديث [قال صلى الله عليه وآله]:

اقْرَأُوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ تحاجان عن أصحابهما..»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ٥ ص ٧٤.

(٢) العين، الفراهيدي: ج ٤ ص ٤٥٧.

(٣) صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٩٧.

ومنها:

«غايوا فوق رأسه بالسيوف مغاياة.

وتغايا عليه الطير إذا رنقت فوقه.

وتقول: بلغك الله في العلم والعمل الغايتين، وأظلك يوم الدين بظلم الغايتين، واجتمع تحت غايته كذا ألفاء، أي تحت رايته»^(١).

ومن ثمّ: فالغاية: كل ما يروم الإنسان بلوغه وتحقيقه فيكون بأله مشغولاً به؛ فهو قَصْدُه الذي يسعى من أجله.

ثانياً: أثرها في التقصير عن طاعة الله

يكشف النص الشريف عن سير النفس في سلم الأخلاق وسبل تهذيبها، إذ لم يكن تقديمه (عليه السلام) في الدعاء للتبُّه من الغفلة على بيانه لأثر الغاية في التقصير ترادفاً للكلمات، وإنما لبيان تبعات كل منها، وأنّ تلبُّس النفس في الغفلة سيجرّ إلى ما هو أسوأ منها؛ أي وقوع الإنسان في التقصير عن الطاعة، وهي رُتبة أشدّ على الإنسان من الغفلة؛ وذلك أنّه سيجري خلف منتهى رغباته ليلبغها فتكون غايته فيما يريد الوصول إليه وبلوغه أشدّ عليه من محاولة خروجه من شبك الغفلة، وذلك أنّ لكل عملٍ وسعي يسعاه الإنسان توجد غاية في نفسه مُحركه نحوها، ومن ثمّ يقع الإنسان في غفلةٍ عن نفسه ولا يلتفت إلى التوبة؛ فهو مشغول الفكر بغاياته، ومما لا ريب فيه أنها ستؤدي به إلى التقصير في طاعة ربّه فيترك الواجبات ويتلبّس بالموبقات والآثام.



المبحث الثاني

آثار الغفلة عن التوبة عند الموت

المسألة الأولى: حسرة الإنسان عند الموت

يُقدِّم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حسرة الإنسان عند الموت على الأثرين الآخرين للغفلة عن التوبة، أي التبطر والغاية؛ وذلك لما يشكُّله أثر التحسُّر على الإنسان من نتيجة لا يمكن تداركها، فضلاً عما تُسبِّبه من آثار أُخرويَّة لما بعد الموت؛ وهو ما بيَّنه أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) بقوله:

«وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً».

ومن ثمَّ: فقد كشف النصُّ الشريف عن جملةٍ من القصدات والدلالات المهمة؛ وهي على النحو الآتي:

أولاً: معنى الحسرة.

تناول كثيرٌ من أهل الاختصاص في عددٍ من العلوم الإنسانيَّة والطبيَّة معنى الحسرة وأسبابها وآثارها على الإنسان، فمما ورد في معناها:

«الندم والاعتنام على ما فات ولا يمكن أن يعودَ، وسَجِيَّة الحسرة وطبيعتها التلهُّف والحرارة والاحترق، ويختلف الالتهاب والاشتعال في حقيقة القلب والروح على حسب اختلاف المتحسِّر والمتأسِّف، وكأنَّه مصداقُ قوله تعالى:

﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾^(١).

(١) المهمة: ٦ - ٧.

وقد تنتهي بإتلاف النفوس وإفناء الوجود على حسب الإفراط والاستيلاء، ومن آثارها الحزنُ القلبيُّ والبُتُّ النفسانيُّ ﴿وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١)، وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢)، لذا سُمِّيَ يوم القيامة بيوم الحسرة والندامة، وإذا بالغ العربيُّ في أمرٍ عظيمٍ فاتته، قال: يَا حَسْرَتَاهُ وَيَا لَهْفَتَاهُ^(٣).

ثانياً: دلالة الحسرة في النصِّ الشريف

والحسرة في النصِّ الشريف تُرشد إلى دلالاتٍ ثلاثة:

الأولى: أن يكون عمر الإنسان حجة عليه بدخول النار.

يكشف قولُ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فِيهَا حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً» عن الأثر الأول الذي يلحق الإنسان في الآخرة، ولأنَّ الموت هو أولُّ مراحل الآخرة فإنَّ الحسرة كانت مشتركةً بين الآثار التي تلحق بالإنسان في الدنيا والآخرة.

ومن ثمَّ فإنَّ أولَّ أثرٍ يراه الإنسان هو إلزامه الحجة بعد الموت، وأنَّ مرارة هذه الحجة تكمن في أيام حياته التي قضاهَا في الغفلة والبَطْر والغاية في البقاء وإرضاء النفس بالسَّيْرِ خلف شهواتها وملذَّاتها.

ولقد نبَّهنا القرآنُ الكريم بهذا الموقف في جملةٍ من الآيات المباركة؛ فمنها: قوله تعالى في بيان حال المؤمن الذي نجا من شباك الغفلة فنال رحمة

(١) يوسف: ٨٤.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) الخصائص الفاطمية، الكجوري: ج ٢ ص ٥٩.



الله ومغفرته وكرامته: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لَوْلَا دُعِينَا لَهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

ومن ثم: فإن أول ما يبعث على الحسرة عند الموت إدراك الإنسان لحقيقة ضياع عمره في الغفلة عن هذا المصير الذي وصل إليه؛ فيكون عمره حجة عليه في دخول النار والعياذ بالله.

ثالثاً: مرارة الشعور بالحسرة عند نزع الروح تدفع الإنسان للاستغاثة.

ولعلها من أهم الأمور الملازمة لحالة الاحتضار والموت، بل هي من خصوصيات يوم القيامة الذي يبدأ من لحظات نزع الروح والانتقال إلى البرزخ، وذلك لقوله تعالى:

﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).
وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٤).

(١) يس: ٢٦-٢٧.

(٢) فصلت: ١٩-٢٢.

(٣) مريم: ٣٩.

(٤) البقرة: ١٦٧.

ولذا: يصف أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) تلك اللحظات التي يمرُّ بها الإنسان بنداء المستغيث، بقوله: «فِيَا هَا حَسْرَةً»؛ أي إنه «منادى مستغاث، ولذلك نُصِبَت كلمة (حسرة) بعد المنادى على التمييز والتقدير: يا للحسرة على الغافلين، فقوله (عليه السلام): (لها) مستغاث، والياء حرف النداء خرج للاستغاثَة.

وقد يُقال: (من) تعريف الاستغاثَة؛ هي كلُّ اسمٍ منادى استُغِيثَ به ليُخَلَّصَ من شِدَّةٍ أو يُعِينَ على دَفْعِ المشقَّةِ، والسَّلامِ في المستغاث مفتوحة ومدخولها مجرور.



قال ابن مالك^(١) في الألفية:

إذا استُغِيثَ اسْمٌ منادى خُفِضَ
وافتح مع المعطوف إن كررت يا
بِالسَّلامِ مفتوحاً كيا للمرتضى
وفي سوي ذلك بالكسراتيا^(٢)

وعلى كلِّ حالٍ، أي سواء قلنا بأنَّه مُسْتَغَاثٌ به أو مُسْتَغَاثٌ لأجله فالقصد واضح؛ وهو أنه (عليه السلام) قد تأسَّفَ وتحسَّرَ على كلِّ ذي غفلة من النَّاسِ؛ من حيث إنَّ عمره عليه حِجَّةٌ من الله تعالى يوم القيامة وهو لم يستفد منه لآخرته بل يُؤدِّيهِ إلى الشَّقْوَةِ والضَّلَالَةِ^(٣).

وذلك لما كُفِّفَ به (عليه الصلاة والسلام) من مَهَامِّ الولاية والرعاية والأبوة للأُمَّة، وهو بهذا القول يُرشدنا إلى قضيةٍ عقديَّةٍ في غاية الأهميَّة، وهو ما سنتناوله لاحقاً.

(١) محمَّد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢ هـ).

(٢) ألفية ابن مالك: ص ٥١، نشر دار التعاون.

(٣) مفتاح السعادة، محمد تقي النقي النقيوي: ج ٧ ص ٤٤٠.

رابعاً: تحسّر الإمام عليّ (عليه السلام) على الغافل عن التوبة بوصفه الولي والراعي للأمة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ودليله من القرآن والسنة.

إنّ الله تعالى قد خصّ الإمام عليّاً (عليه الصلاة والسلام) بما خصّ رسوله المصطفى محمّداً (صلى الله عليه وآله) ما خلا النبوة فلا نبيّ من بعده؛ ومن ثمّ فله ما للنبيّ (صلى الله عليه وآله).

وقد وصف القرآن حال النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع أمته، بل مع الناس جميعاً في تحسّره عليهم؛ لما همّ فيه من الغفلة والبعد عن الله تعالى فضاعوا وأضاعوا، فقال عزّ وجلّ:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

وقد أخرج الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) بسنده عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال عن أبيه، قال:

«سألت أبا الحسن [الرضا] (عليه السلام)، فقلتُ له: لم كُنّي النبيّ (صلى الله عليه وآله) بأبي القاسم؟ فقال:

لأنّه كان له ابنٌ يُقالُ له قاسمٌ، فكُنّي به، قال:

فقلتُ له: يا بن رسولِ الله [صلى الله عليه وآله]، فهل تراني أهلاً للزيادة؟

فقال: نعم، أمّا علِمْتَ أنّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله)، قال:

أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

قُلْتُ: بَلَى، قَالَ:

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَبُّ لَجْمِيعِ أُمَّتِهِ وَعَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ:

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَاسِمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟
قُلْتُ: بَلَى، قَالَ:

فَقِيلَ لَهُ: أَبُو الْقَاسِمِ؛ لِأَنَّهُ أَبُو قَاسِمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.
فَقُلْتُ لَهُ: وَمَعْنَى ذَلِكَ؟ قَالَ:

إِنَّ شَفَقَةَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى أُمَّتِهِ شَفَقَةَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمَنْ بَعْدَهُ شَفَقَةُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَيْهِمْ كَشَفَقَتِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ لِأَنَّهُ وَصِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ وَالْإِمَامُ بَعْدَهُ، فَلِذَلِكَ قَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ أَبُوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَصَعَدَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْمَنْبَرَ، فَقَالَ:

مَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا، فَعَلِيٌّ وَالِي، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، فَصَارَ بِذَلِكَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَوْلَى بِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَهُ، جَرَى ذَلِكَ لَهُ مِثْلَ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ^(١).

ولم يكن الأمر مقتصرًا على هذه الخصائص التي بينها الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، وإنما للنص الشريف - مورد البحث - كاشفية أخرى؛ أي قصدية التحسر على الغافل عند الموت، ولخُطورة هذه الحقيقة فقد أفردنا لها مسألة مستقلة.

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الصدوق: ج ٢ ص ٩١ - ٩٢؛ علل الشرائع، الصدوق: ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧.

المسألة الثانية: كاشفية النص عن حضور الإمام علي (عليه السلام) في احتضار المسلم ونزع روحه عند الموت.

يكشف النص الشريف، أي قوله (عليه الصلاة والسلام):
«فِيهَا حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلَةٍ».

عن حقيقة عقديّة في غاية الأهميّة؛ ولا سيما أن كثيرًا من النصوص القرآنيّة والسنة النبويّة الشريفة قد دلّت عليها؛ أي حضور النبي (صلى الله عليه وآله) ووصيّه وخليفته بالحقّ والجعل الإلهي في أمته أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه الصلاة والسلام) عند المحتضر، وبيانها لخالهما، أي النبي ووصيّه؛ من الحسرة على المسلم الذي وقع في شبك الغفلة عن التوبة وقد ذهب عمره سُدًى، بل ويكون عليه حُجّة وتأخذه أيامه إلى الشقاء.

ومن ثمّ: فالنص الشريف يُرشد إلى قضية عقديّة في غاية الأهميّة؛ وذلك لما تُبيّن من خطورة ما يمرُّ به الإنسان عند الاحتضار ونزع الرُّوح وانتقاله إلى الآخرة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: انكشاف الحقائق للإنسان عند الموت.

وهذه المسألة العقديّة دلّ عليها القرآن والسنة، وهي كالآتي:

١- دلالة النصوص القرآنيّة

يُظهر القرآن هذه الحقيقة في جملة من الآيات؛ منها:

أ. قال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ

عَلَى اللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ وَكُتِبَ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾.

ب- وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢﴾.

ج- وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣﴾.

د- قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤﴾.

وقد روى الفقيه المفسر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جملة من الروايات في بيان الآية فكان منها:

١- «يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ يقول أحدهم إذا حشر أحدهم بنفسه، وعاین ملائكة ربّه قد أقبلوا إليه لقبض روحه، قال: وقد غلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرته وغرغرتة ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة»^(٥).

(١) الأنعام، الآية: ٩٣.

(٢) المؤمن، الآية: ٩٩.

(٣) المنافقون، الآية: ١٠.

(٤) النساء، الآية: ١٨.

(٥) تفسير الطبري: ج ٤ ص ٤٠١.

٢- وروى عن الربيع: أن قوله تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ نزلت في المنافقين؛ وقد ذهب الثوري إلى إنها في أهل المعاصي وليست في المنافقين؛ للتفريق بينهم وبين الكفار بلحاظ أن المنافقين هم كفاراً أيضاً^(١).

وهذا القول لا يصمد أمام بيان القرآن؛ لحال فرعون الذي أدركه الغرق فقال: الآن آمنت، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

ومن ثم: يتضح أنها في أهل النفاق فهم لا توبة لهم عند حضور الملائكة لنزع أرواحهم، ويتضح أيضاً حقيقة المشاهدة للملائكة، واختلاف حال الميت بما يراه من الشدة أو التخفيف في نزع روجه من عروق بدنه، بين كونه مؤمناً، فيَهَوَّنَ عليه النَّزْعُ، وبين كونه منافقاً أو كافراً فيُشَدَّدَ عليه.

٢. دلالة النصوص النبوية

ولم يكن القرآن هو الوحيد الذي بين للناس هذه الحقيقة؛ بل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُبين لأزواجه ذلك أيضاً؛ فما أخرجه البخاري وأحمد في ذلك، ما يلي:

أ. أخرج البخاري، عن عبادة بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

(١) المصدر السابق: ج ٤ ص ٤٠١.

(٢) يونس، الآية: ٩٠ - ٩١.

«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ؛ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.»

قالت عائشة، أو بعض أزواجه:

إننا لنكره الموت؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَحْضَرَهُ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرُضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَحْضَرَهُ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١).

ب. وأخرج أحمد بن حنبل عن يونس، عن الحسن، عن عائشة، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.»

فقالت عائشة: يا رسول الله، كراهية لقاء الله أن يكره الموت، فوالله إننا لنكرهه؟ فقال:

«لا، لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْضَهُ فَرَجَّ لَهُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرَامَتِهِ؛ فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ، وَأَنَّ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ إِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْضَهُ فَرَجَّ لَهُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهُوَ أَنَّهُ فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ لِقَاءَهُ»^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ج ٧ ص ١٩١.

(٢) مسند أحمد، حديث عائشة: ج ٦ ص ٢١٨.

ثانياً: رؤية المسلم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه الإمام علي (عليه السلام) في الاحتضار ونزع الروح.

إنَّ من الحقائق التي نصَّ عليها القرآنُ والسُّنةُ في احتضار المسلم - أي حينما تحضره الملائكةُ لقبْضِ رُوحه، أَنه يُبشِّرُ بأحدِ أمرين؛ إمَّا أَنه يُبشِّرُ برضوان الله وكرامته؛ فيُحِبُّ لقاءَ الله تعالى، وإمَّا أَن يُبشِّرَ بعذابِ الله وعقوبته؛ فيكره لقاءَ الله، كما مرَّ بيانهُ آنفاً فيما رواه البخاريُّ، عن عائشة، عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن عائشة لم تسأل النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَنْ الذي يُبشِّرُ المحتضِرَ، أهِيَ الملائكةُ، أم مَلَكُ الموتِ عزرائيلُ (عليه السلام)، أم أعوانه، أم النبيُّ ووصيُّه عليُّ (صلوات الله وسلامه عليهما)؟!!

أو لعلَّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرها لكنَّها كَرِهَتْ ذِكْرَ عليِّ (عليه السلام)؛ وهو أمرٌ عَرِفَ عنها واشتَهَرَتْ به؛ لا سيما في أخبارها عن خروج النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الصلاة في أيام مرضه، وقبل وفاته، لما سمع بأنَّ أبا بكرٍ يَصُليُّ بالناسِ، فخرج محمولاً يتهاذى بين رَجُلَيْنِ أحدهما العباسُ^(١).

فهنا لم تكشف عائشة عن اسم الشخص الثاني فذكرت العباسَ فقط، في حين يُظهِرُ عبدُ الله بن عباسِ السببَ الذي منع عائشةَ من ذِكْرِ الشخصِ الآخرِ، الذي استند إليه النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في خُروجه إلى المسجد، فيقول: «أتدرون مَنْ الرَّجُلُ الآخرُ الذي لم تُسمِّ عائشة؟ هو عليُّ!

(١) ينظر صحيح البخاري، باب: أهل العلم والفضل، ج ١ ص ١٦٩.

ولكن عائشة لا تطيبُ له نفسًا!!»^(١).

إلا أن ما لا تطيبُ له عائشةُ نفسًا!! ذكرته الروايات الواردة عن الذين خرج بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمباهلة نصارى نجران على صدق دعوته ونبوته.

فضلاً عن ذكر بعض أعلام أهل السنة والجماعة لهذه الحقيقة؛ فلقد تضافرت النصوص الواردة عن ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأصغر؛ وهم عترته أهل بيته (عليهم السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) يحضرون عند حضور ملائكة الموت لنزع الأرواح من الأبدان.

وهذه الحقيقة وإن كان ابن تيمية ومن أخذ بحجزته، وسار على عقيدته لا يؤمنون بها، إلا أن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً، فما بعد الحق وهدي القرآن وعتره محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا الضلال، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ومن هذه النصوص الشريفة، ما يلي:

١- أخرج الشيخ الكليني (عليه الرحمة والرضوان) (ت ٣٢٩ هـ) بسنده

عن علي بن عقبة، عن أبيه قال: «قال لي أبو عبد الله (عليه السلام):

يَا عُقْبَةُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ،

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦ ص ٢٢٨.

(٢) المائدة، الآية: ١٠٥.

وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرَّبُ بِهِ عَيْنُهُ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ إِلَى هَذِهِ.
ثُمَّ أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى الْوَرِيدِ، ثُمَّ اتَّكَأَ وَكَانَ مَعِيَ الْمَعْلَى فَعَمَزَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ
فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هَذِهِ أَيَّ شَيْءٍ يَرَى؟ فَقُلْتُ لَهُ بِضْعَ
عَشْرَةَ مَرَّةً أَيَّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ فِي كُلِّهَا: (يَرَى) وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جَلَسَ فِي آخِرِهَا
فَقَالَ:

يَا عُقْبَةُ! فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ: أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا
ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّمَا دِينِي مَعَ دِينِكَ فَإِذَا ذَهَبَ دِينِي كَانَ ذَلِكَ، كَيْفَ لِي بِكَ
يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ سَاعَةٍ، وَبَكَيْتُ فَرَّقَ لِي فَقَالَ:
يَرَاهُمَا وَاللَّهِ، فَقُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمَا؟ قَالَ:

ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَعَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، يَا
عُقْبَةُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ أَبَدًا حَتَّى تَرَاهُمَا، قُلْتُ: فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنُ
أَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا؟ فَقَالَ:

لَا، يَمْضِي أَمَامَهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا مَضَى أَمَامَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَقُولَانِ شَيْئًا؟ قَالَ:
«نَعَمْ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَيَجْلِسُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
عِنْدَ رَأْسِهِ وَعَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَيَكِيبُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَبَشِرْ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي خَيْرٌ لَكَ
مِمَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَنْهَضُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَيَقُومُ
عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى يُكِيبَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَبَشِرْ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّهُ، أَمَا لَأَنْفَعَنَّكَ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قُلْتُ: أَيْنَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ هَذَا

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: فِي يُونُسَ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَاهُنَا:
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
 تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)»^(٢).

٢- أخرج الكليني بسنده، عن سعيد بن يسار، أنه حضر أحد ابني
 سابور وكان لهما فضلٌ، وورعٌ وإخباتٌ، فمرض أحدهما وما أحسبه إلا زكريا
 ابن سابور، قال: فحضرته عند موته، فبسط يده ثم قال:

(أَبِيضَتْ يَدِي يَا عَلِيُّ!) قال: فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) و
 عنده محمد بن مسلم، قال: فلما قمت من عنده ظننت أن محمداً يُخبره بخبر
 الرجل، فأتبعني برسول فرجعت إليه فقال:

«أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي حَضَرْتَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَيَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ
 يَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَسَطَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: أَبِيضَتْ يَدِي يَا عَلِيُّ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 (عليه السلام):

وَاللَّهِ رَأَاهُ، وَاللَّهِ رَأَاهُ، وَاللَّهِ رَأَاهُ»^(٣).

٣- وروى حسين بن سعيد الكوفي (ت ٣٠٠هـ) وغيره عن عبد الرحيم
 القصير، قال: «قلت لأبي جعفر (عليه السلام): حدثني صالح بن ميثم عن
 عباية الأسدي، أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول:

(١) يونس: ٦٣-٦٤.

(٢) الكافي الكليني، باب: ما يعاين المؤمن والكافر: ج ٣ ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) الكافي، باب: ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت: ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١.

والله لا يُبغضني عبدٌ أبداً فيموتُ على بُغضي إلا رآني عند موته حيثُ
يكرهه، ولا يُجيبني عبدٌ أبداً فيموتُ على حُبِّي إلا رآني عند موته حيثُ يُحبُّ،
فقال أبو جعفر (عليه السلام): نَعَمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ بِالْيَمِينِ»^(١).

٤ - أخرج الشيخ المفيد والشيخ الطوسي (عليهما الرحمة والرضوان) في
أماليهما، قدوم الحارث الهمداني على أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام)؛
فكان ممّا جرى بينهما من الحديث، أنّه (عليه الصلاة والسلام) قال للحارث:
«أُبَشِّرُكَ يَا حَارِثُ لَتَعْرِفُنِي عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَعِنْدَ الصَّرَاطِ، وَعِنْدَ الْحَوْضِ،
وَعِنْدَ الْمُقَاسَمَةِ.

قال الحارثُ:

وما المقاسمةُ يا مولاي؟

قال: مُقَاسَمَةُ النَّارِ؛ أَقَاسِمُهَا قِسْمَةٌ صَحِيحَةٌ؛ أَقُولُ: هَذَا وَلِيِّي فَاتْرُكِيهِ،
وَهَذَا عَدُوِّي فَخُذِيهِ...»^(٢).

والحديث ذو شهرةٍ واسعةٍ بين أتباع آل البيت (عليهم السلام)؛ فقد
أنشد السيّد الحميري (عليه الرحمة والرضوان) في ذلك فيقول:

(١) الزهد، لحسين بن سعيد الكوفي: ص ٨٣، الكافي الكليني: ج ٣ ص ١٣٢، الفصول المهمة
للحر العاملي: ج ١ ص ٣٠٥.

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ص ٧، أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٢٧، المختصر لحسن بن سليمان
الحلي: ص ٦٤، كشف الغمة للأربلي: ج ٢ ص ٣٩.

قول علي لحارث عجب
يا حار همدان من يمت يرني
يعرفني طرفه وأعرفه
وأنت عند الصراط تعرفني
أسقيك من بارد على ظمأ
أقول للنار حين تعرض للعرض
دعيه لا تقربيه إن له
كم ثم أعجوبة له جملا
من مؤ من أو منافق قبلا
بنعته واسمه وما فعلا
فلا تخف عشرة ولا زللا
تخاله في الحلاوة العسلا
دعية لا تقربي الرجال
حبلا بحبل الوصي متصلا^(١)



ومن ثمّ: فما أكثر ما أخفي عن المسلمين من الحقائق التي فيها نجاتهم ومنها حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيّه أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه الصلاة والسلام) عند المسلم في الاحتضار ونزع الرُّوح، فإن كان من أهل التوبة والطاعة والتبُّه من الغفلة بشَّره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بالتوبة والمغفرة والرحمة التي غمرته من الله تعالى في تلك اللحظات العصيبة.

وإن كان من أهل الغفلة عن التوبة تحسراً عليه لضياعه وهلاكه، فضلاً عما يراه هو من الخسران وضياع عمره؛ فتألمه الحسرة والكآبة والندامة بعد الموت.

من هنا:

نجد أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يدعو الله في النصِّ الشريف -

(١) الأمل للمفيد: ص ٧؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣٤.

موضع البحث - ويسأله التوفيق لنفسه المقدسة ولمن سَمِعَ دعاءه، فيقول:
«نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ
طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً»^(١).

وهو ما سنتناوله في الفصل القادم الكاشف عن آثار الغفلة عن التوبة
في الآخرة.

الفصل الثالث

آثار الغفلة عن التوبة في الآخرة

توطئة:

مثلما كشف النصُّ الشريف الوارد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) الآثارَ التي تُنتجها الغفلةُ في الحياة الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، أي عند الموت والتي مرَّ ببيانها في الباحثين السابقين، فإنه يُظهر أيضًا الآثار التي تعلَّقت بالغفلة عن التوبة في الحياة الآخرة، وقد حدَّدها أمير المؤمنين (عليه السلام) بأثرين؛ وهما (الندامة، الكآبة) وذلك لقوله (عليه السلام):

«وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَأَبَةً»^(١) ومَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ يَكُونُ بِأَمْسٍ الْحَاجَةَ إِلَى مَا يُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَكَيْفَ بِهِ وَهُوَ يُصَابُ فِي أَوَّلِ طَرِيقِهِ بِالنَّدَامَةِ وَالْكَأَبَةِ؟!!

أمَّا الإمام عليُّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، فقد حدَّد عبر الدعاء آثار قبول التوبة على الإنسان في الآخرة؛ فذكر أربعة آثار؛ وهي أنَّ قبول التوبة تُورثُ حُسْنَ العاقبة وختام العمر بالرحمة، والثاني: تغفر الذنوبَ، والثالث: تمحو المعاصي، والرابع: تستر الإنسان يوم القيامة فلا يُفتَضَّحُ على رؤوس الأشهاد.

ومن ثمَّ نجد تكاملًا معرفيًا في بيان أهمية التنبُّه من الغفلة عن التوبة والرُّجوع إلى الله تعالى عبر النصِّين الشريفين الواردين في كتاب نهج البلاغة والصحيفة السجادية، فالحمْد لله الذي أكرمنا بهما لمعرفة السُّبُلِ المُوَصِّلةِ إلى رضا الله وجَنَّتِهِ.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٦.

المبحث الأول

الندامة والكآبة بعد الموت

المسألة الأولى - دلالة النص الشريف على إصابة الإنسان بالندامة بعد الموت

أولاً: الندامة لغتاً

يظهر من بيان أهل اللغة أن الندم يدلُّ على تأسُّف الإنسان من أمرٍ ما وهو شعور وجدانيّ كاشف عن مراجعة النفس لما وقع منها من تقصيرٍ أو تفويتٍ للنعمة؛ وذلك أن مَنْ «نَدِمَ على الشيء ونَدِمَ على ما فعلَ نَدَمًا وندامةً وتندَّم: أسفَ؛ ورجل نادِمٌ سادِمٌ وندمانٌ سدِّمانٌ، أي نادِمٌ مُهتَمٌّ، وفي الحديث: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)»^(١)»^(٢).

وقد ورد في الصحيفة السجادية عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، أنه قال: «اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنْابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الْإِسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ»^(٣).

ثانياً - كاشفيّة الأحاديث الشريفة عن آثار الندامة ومواردها

١- روى الكليني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود، عن النبي (صلى الله عليه وآله): ج ١ ص ٣٧٦

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٢ ص ٥٧٢.

(٣) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣١ (في طلب التوبة).

«وَشَرُّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١)؛ «وذلك لأن الندامة على ترك الشيء أو فعله إنما هي على قدر نفع ذلك الشيء أو ضرره، ومن البين عقلاً أو نقلاً أن نفع يوم القيامة وضرره أشد وأبقى من نفع الدنيا وضررها؛ فلذلك تكون ندامة القيامة أشد وأقوى»^(٢).

٢- وروى عن سليم بن قيس الهلالي، قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له:

إِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْدًا إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهُ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ وَاتِّبَاعِهِ الْهُمُومَى وَطُولِ الْأَمَلِ؛ أَمَّا اتِّبَاعُ الْهُمُومَى فَيُضِدُّ عَنِ الْحَقِّ وَطُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْأَخِرَةَ»^(٣).

٣- وقد سأل محمد بن أبي عمير الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن الشفاعة للعصاة، فقال: «سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: لا يُخْلِدُ اللَّهُ فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَأَهْلَ الضَّلَالِ وَالشَّرِكِ. وَمَنْ اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُسَأَلْ عَنِ الصَّغَائِرِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾»^(٤).

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(١) الكافي: ج ٨ ص ٨٢.

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ١١ ص ٤٥٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٤٤.

(٤) النساء: ٣١.

(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: **إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ مِنْهُمْ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**. قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيِّهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١) ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟ فقال:

يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(كَفَىٰ بِالنَّدَمِ تَوْبَةً)**^(٢).

وقال (عليه السلام): **مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**^(٣). فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم يحب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٤).

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: **يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب وندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، وندم لم يندم عليها كان مصراً والمصر لا يغفر له؛ لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.**

وأما قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢)

(٣)

(٤) غافر: من الآية: ١٨.

فَاتَّمَّمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى اللَّهُ دِينَهُ، وَالَّذِينَ الْأَقْرَارُ بِالْجَزَاءِ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَمَنْ ارْتَضَى اللَّهُ دِينَهُ نَدِمَ عَلَى مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لَمَعْرِفَتِهِ بِعَاقِبَتِهِ فِي الْقِيَامَةِ»^(١).

والنصوص الشريفة تُرشد إلى مسألة جوهرية؛ وهي أن أخطر ما يمرُّ به الإنسان في مسيرته الحياتية الدنيوية ولاسيما الأخروية فهي دار القرار، هو الغفلة عن التوبة لما ارتكبه من آثام ومعاصٍ وذنوبٍ وقد شُغِلَ عنها بشواغل الحياة الدنيا المتعددة ولكنه عند الاحتضار حيث لا شُغْلَ له إلا بما يراه ويُحيط به من ملائكة الموت والشياطين التي تسعى مع تلك الحالة الحرجة والعصيبة والمُرّة على الإنسان أن تصرفه عن رحمة الله تعالى؛ فلم تَزَلْ به بفعل تلك التراكمات التي احتطبها وجمعها على ظهره أن تعدل به عن التوحيد والنبوة والإمامة؛ ليخرج من الحياة الدنيا وهو على غير ملة الإسلام، والعلة في جميع هذا البلاء والمحنة العظيمة هي الغفلة عن التوبة، والانشغال بالرغبات والملذّات، والتسابق مع الدنيا وزخرفها؛ ليصل به الحال إلى ما لم يمكن تداركه .

من هنا كان التنبّه من الغفلة من أهمّ القيم الإنسانية التي تُعيد إليه قيمته وتُخرجه من دائرة البهيمية، بل إنّ البهائم لأعلى رتبةً؛ فقد نجت من ذلك المصير ولم تخلد في النار ولم تمرّ بتلك المرارة من الندامة على ما ارتكبه الإنسان في حقّ نفسه وأهله، قال تعالى:

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا

(١) التوحيد، الصدوق: ص ٤٠٦.

شَهِدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

المسألة الثانية: دلالة النص الشريف على إصابة الإنسان بالكآبة بعد الموت

أولاً: معنى الكآبة وتعريفها

يظهر من النص الشريف أن الكآبة حالة نفسانية تظهر على وجه الإنسان فيكون مرآة لما أصاب النفس من همٍّ وحُزن؛ وذلك لما يمرُّ به من مصائب، أو لما يراه من مظاهر تبعث على الألم والهمِّ، ومن ثمَّ: فقد عرفها أهل اللغة: «بسوء الهيئة، والانكسار من الحزن في الوجه خاصّة؛ كئيب الرجل يكأب كأباً وكآبةً وكآبةً فهو كئيب كئيب، وكتأب كتأباً»^(٢)

إلا أن البعض فرّق بينها وبين الحُزن خاصّة؛ وذلك «أن الكآبة أثار الحُزن البادي على الوجه، ومن ثمَّ يُقال: عليه كآبة، ولا يقال: علاه حُزنٌ أو كُربٌ؛ لأن الحُزن لا يُرى ولكن دلّته على الوجه، وتلك الدلالات تُسمّى كآبة، والشاهد قول النابغة:

إِذَا حَلَّ بِالْأَرْضِ الْبَرِيَّةِ أَضْبَحَتْ كَتَيْبَةً وَجْهٍ غُبْهَا غَيْرُ طَائِلٍ

فجعل الكآبة في الوجه»^(٣)، ولذا عرّفت: «بتغيُّر النفس بالانكسار من شدّة الهمِّ والحُزن»^(٤).

(١) البقرة: ٢٣-٢٤.

(٢) العين: ج ٥ ص ١٨٤.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري: ص ٤٤٣.

(٤) ملاذ الأخيار، المجلسي الأوّل: ج ٧ ص ٢٨٢.

ثانياً: كاشفيّة الأحاديث الشريفة عن آثار الكآبة ومواردها

تناولت النصوص الشريفة مسألة الكآبة وبيان آثارها على الإنسان؛ ولاسيما التي كشفت عن الظروف المحيطة بالنص الشريف أو التي كانت سبباً في صدورهِ عن المعصوم (عليه السلام)، ممّا يُقدّم تصوّراً معرفياً ونسقاً دلالياً مع حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعائه إلى الله تعالى في الخلاص والنجاة من الكآبة بعد الموت، فمِمّا ورد من الأحاديث:

١- روى الشيخ الكليني (رحمه الله) عن عليّ بن إبراهيم، يرفعه عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: «طَلَبَةُ الْعِلْمِ ثَلَاثَةٌ فَأَعْرِفُهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ صِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْإِسْتِطَالَةِ وَالْحُتْلِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْفِقْهِ وَالْعَقْلِ، فَصَاحِبُ الْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ مُؤَذِّمٌ مُرَّارٌ مُتَعَرِّضٌ لِلْمَقَالِ فِي أُنْدِيَةِ الرَّجَالِ بِتَدَاكُرِ الْعِلْمِ وَصِفَةِ الْحُلْمِ قَدْ تَسْرَبَلَ بِالْخُشُوعِ وَتَحَلَّى مِنَ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا خَيْشُومَهُ وَقَطَعَ مِنْهُ حَيْزُومَهُ، وَصَاحِبُ الْإِسْتِطَالَةِ وَالْحُتْلِ دُوْ خِبٌّ وَمَلَقٌ يَسْتَطِيلُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَشْبَاهِهِ، وَيَتَوَاضَعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِ فَهُوَ لِحُلُوتِهِمْ هَاضِمٌ وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ فَأَعْمَى اللَّهُ عَلَى هَذَا خُبْرَهُ وَقَطَعَ مِنْ آثَارِ الْعُلَمَاءِ أَثْرَهُ، وَصَاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعَقْلِ دُوْ كَآبَةٍ وَحَزَنٍ وَسَهَرٍ قَدْ تَحَنَّكَ فِي بُرْنِسِهِ وَقَامَ اللَّيْلَ فِي حِنْدِسِهِ يَعْمَلُ وَيَحْشَى وَجِلًّا دَاعِيًّا مُشْفِقًا مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ عَارِفًا بِأَهْلِ زَمَانِهِ، مُسْتَوْحِشًا مِنْ أَوْثِقِ إِخْوَانِهِ، فَشَدَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا أَرْكَانَهُ وَأَعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَانَهُ»^(١).

(١) الكافي، كتاب العقل والجهل، باب: النوادر: ج ١ ص ٤٩.

وأتصاف صاحب الفقه والعقل بالكآبة والحزن والسهر «بهذه الأمور؛ لاستشعار نفسه بالخوف والخشية من الله تعالى ومن أهوال الآخرة وعقابها وصعوبة أحوال الناس فيها، ومن سوء العاقبة وقبح الخاتمة، ولانفعالها بمشاهدة قلة الأصدقاء وكثرة الأعداء ورفع

حال الأراذل ووضع حال الأفاضل إلى غير ذلك من الأسباب»^(١)

٢- وروى الشيخ الكليني^(٢) عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) والشيخ المفيد من طريقين الأول^(٣)، عن صعصة بن صوحان^(٤)، والآخر عن أبي أراكة^(٥)، قال: «صليت خلف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) الفجر في مسجدكم هذا، فانقتل على يمينه وكان عليه كآبة، ومكث حتى طلعت الشمس على حائط مسجدكم هذا قيد رمح

وليس هو على ما هو [عليه] اليوم، ثم أقبل على الناس فقال:

أما والله لقد كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم يكابدون هذا الليل، يراو حون بين جباههم ورؤسهم، كأن زفير النار في آذانهم، فإذا

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) الكافي، باب: المؤمن وصفاته: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) الإرشاد: ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) صعصة بن صوحان، (بضم الصاد المهملة، العبيدي، روى عهد مالك بن الحارث الأشتر، قال الصادق (عليه السلام)، (ما كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من يعرف حقه إلا صعصة وأصحابه) وهذا مقنع في شرفه)، (رجال أبو داود الحلبي: ص ١١١).

(٥) أبو أراكة بن مالك بن عامر القسري فارق أمير المؤمنين (عليه السلام) مع جرير بن عبد الله وقد هدم أمير المؤمنين (عليه السلام) داره بعد هروبه من الكوفة مع من هرب، ينظر:

شرح ابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١١٨

أَصْبَحُوا أَصْبَحُوا غُبْرًا صُفْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ شِبْهُ رُكْبِ الْمِعْزَى، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ، وَانْهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْتَلَّ ثِيَابَهُمْ. قال: ثم نهض وهو يقول: والله لَكَأَنَّ بَاتَ الْقَوْمُ غَافِلِينَ. ثم لم يُرْ مُفْتَرًّا حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ ابْنِ مُلْجَمٍ (لعنه الله) ما كان»^(١).

والحديث الشريف يُرشدُ إلى أمورٍ عِدَّةٍ؛ منها:

١- إن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان فيهم مَنْ هُوَ عَلَى تِلْكَ الرَّتْبَةِ مِنَ التَّهَجُّدِ وَالْعِبَادَةِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلَا سِيَّمَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ شَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَزِمُوهُ وَتَوَلَّوْهُ وَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(٢)، وَفِي لَفْظٍ: «اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالٍ مَنْ وَالَاهُ وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ»^(٣).

وقد روى المسعودي في صفة عمار بن ياسر وعِدَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَبْنَائِهِمْ وَقَدْ خَرَجُوا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِقِتَالِ جَيْشِ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى الْأُمَّةِ وَلَا سِيَّمَا أَنَّ النَّاسَ مِمَّنْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى وَعْيِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَدْ انْحَاذُوا إِلَى عَائِشَةَ، وَمَنْ ثُمَّ فَإِنَّ مِنَ السَّمَاتِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ مَا بَيْنَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي مَظْهَرِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ، فيقول:

(١) الأماي: ص ١٩٧.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ١١٩، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٢٩٧.

(٣) مسند أحمد: ج ١ ص ١١٨.



«ثُمَّ مَرَّ بِنَا فَارِسٌ آخِرُ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ وَعِمَامَةٌ سُودَاءٌ قَدْ سَدَلَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، شَدِيدُ الْأَدَمَةِ، عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، رَافِعٌ صَوْتُهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا، مُتَنَكِّبٌ قَوْسًا، مَعَهُ رَايَةٌ بَيْضَاءٌ فِي الْفِ مِنْ النَّاسِ مُخْتَلِفِي التَّيْجَانِ، حَوْلَهُ مَشِيخَةٌ وَكُهُولٌ وَشَبَابٌ كَأَنَّمَا قَدْ أُوقِفُوا لِلْحِسَابِ، أَثَرُ السُّجُودِ قَدْ أَثَّرَ فِي جِبَاهِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فِي عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَبْنَائِهِمْ»^(١)

وَمِنْ ثَمَّ تَكْشِفُ رِوَايَةُ الْمَسْعُودِيِّ عَنِ قَصْدِيَّةِ حَدِيثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي تَذْكِيرِهِ بِسِمَاتِ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَعِلَّةِ كَوْنِهِ حَزِينًا كَثِيرًا؛ وَذَلِكَ لِإِفْتِقَارِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ وَعُمُرِهِ الشَّرِيفِ.

٢- تُرْشِدُ سِمَةُ الْكَاِبَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي النُّصُوصِ إِلَى حَالَةِ الْإِنْكَسَارِ وَالْحُزَنِ الْمَصْحُوبِ بِالْأَلَمِ؛ لِمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَسْمَعُهُ مِنْ فَقْدَانِ الْخَيْرِ وَذَهَابِهِ وَتَفْرِيطِ النِّعْمَةِ وَتَضْيِيعِهَا؛ وَلَا سِيَّمَا تَضْيِيعِ نِعْمَةِ الْعُمُرِ فِي الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ الَّتِي لَمْ يَجْنِ مِنْهَا الْإِنْسَانُ الْغَافِلُ عَنِ التَّوْبَةِ سِوَى الْحُزَنِ وَالْأَلَمِ النَّفْسِيِّ الشَّدِيدِ وَذَلِكَ لِعَدَمِ تَدَارُكِهِ مَا فَاتَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢).

(١) مروج الذهب: ج ١ ص ٣٧١.

(٢) المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

المبحث الثاني

آثار قبول التوبة في الآخرة

قال الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

«وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا، وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَحْضَرْتَنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِجَابَتِهَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا نُحْصِي عَلَيْهَا كِتَبَةً أَعْمَلْنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ، وَلَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا. وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرًا سَتَرْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ. إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ»^(١).

والدعاء الشريف يكشف عن آثار قبول التوبة في الآخرة فيضعها في خمسة آثارٍ ويبدأها الإمام (عليه السلام) بمقدمةٍ وخاتمةٍ، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: أثر الإيمان بالغيب في بناء الذات وتنمية القدرات النفسية.

يبتدئ الإمام (عليه السلام) النصُّ الشريف في وسيلة الدعاء بمقدمةٍ تركز على بيان أثر الإيمان بالغيب في بناء الذات الإنسانيّة وآلية تنمية القدرات النفسيّة في التغلّب على الرغبات والشّهوات؛ وهو أصعب ما يواجه الإنسان في البناء القيميّ والرّوحيّ وخروجه من دائرة الغرائزيّة المقيتة التي تُعطلّه عن أداء رسالته الحياتيّة بوصفه العنصر الأساس في بناء الحياة على الأرض، وهو المعنيّ بالتكريم الإلهيّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ

(١) الصحيفة السجّاديّة، الدعاء الثاني عشر: ص ٦٦.

وَالْبَحْرِ وَرَزَقْتَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾.

ومن ثمَّ لا بُدَّ له من الرجوع إلى مَنْ يرسم له الطريق للخلاص من دائرة الهوى والغرائزية البهيمية؛ فيُوجَّهه إلى الوسيلة التي تُنقذه من الضلال وتُجنبه الهلاك والخسران المبين؛ وذلك عبر استحضاره الفِكرَ وبتحوُّ مستمرٍ بأنَّه وإن امتدَّ به العمر إلاَّ أنَّه سيرحل عن الدنيا تاركًا وراءه ما أفنى عُمره من أجله، لا هثًّا لنيله وتحصيله وهو ﴿... حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^(٢) وهذا الشعور - أي لا بُدَّ له من الرحيل عن الدنيا - لا يستطيع الإنسان من تنميته واستحضاره ما لم يكن يؤمن بالغيب واليوم الآخر، وهو ما تجلَّى في الدعاء الشريف، في قوله (عليه السلام): «وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا، وَنَصَرَمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَحْضَرْتَنَا دَعْوَتَكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِجَابَتِهَا»

بمعنى: إنَّه (عليه السلام) قبل أن يبدأ بطلب التوبة من الله تعالى المقرونة بالتفضل الإلهيِّ بقبولها، ينقل السامع إلى مرتكزات أربعة:

الأولى: إدراك الإنسان بانقضاء أيام حياته.

الثانية: تصرُّم العمر؛ أي انقطاعه وانتهاءه^(٣).

الثالثة: دعوة الإنسان للحضور بين يدي أمر الله عزَّ وجلَّ.

الرابعة: إجابة الدعوة راغمًا.

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) آل عمران: من الآية ١٤.

(٣) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج ٥ ص ١٩٦٥، مادة (صرم).

وهذه المرتكزات كانت مقدّمة لما يُريد الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن ينبّه السامع إليه؛ لما له من الأهميّة البالغة؛ وذلك لتوقّف مصير الإنسان عليه لما بعد الموت، أي أن يُمنَّ عليه بقبول توبته قبل أن تأتيه ملائكة الموت لتُقدّم له الدعوة التي يقبلها راغماً للوقوف بين يدي الله تعالى والانتقال من عالم الدنيا إلى الآخرة.

ثمّ يبيّن (عليه السلام) نتيجة هذه المقدّمة فيقول: «إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ» بمعنى: إنّ الله تعالى لم يزل مُتحنّنا على عباده رحيماً بهم مستجيباً لمن يُناديه منهم، وما عليهم إلا الرجوع إليه تعالى ملتَمسين عَفْوَهُ طامعين بكرمه سائلين مغفرته ونادمين على التقصير في حقّه؛ ليتوب عليهم إنّه هو التوّاب الرحيم

إذن: يُبرز الدعاء أهميّة التنبّه من الغفلة عن التوبة، وأنها من أعظم القيم الإنسانيّة التي تُخرّجه من دائرة البهيمة إلى قيمته الإنسانيّة؛ فهو المخصوص بالكرامة والنعيم الأبديّ.

ومن ثمّ ينتقل الإمام (عليه السلام) عبر الدعاء من بيان المقدّمة إلى ثمار التوبة وآثارها في الآخرة إلى النتيجة المرجوّة؛ كي يكشف عن قلب السامع ما تراكم عليه من سُحُب الجهل والوهم واليأس من رحمة الله تعالى. أمّا آثارها في الآخرة فهي على النحو الآتي:

المسألة الثانية: إن التوبة تُحقّق حَسَنَ العاقبة وتطوي صحيفَةَ الأعمال بالخير

قال (عليه السلام): «فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كِتَابَةً أَعْمَلْنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً».

يبتدئ الإمام زين العابدين (عليه السلام) في عَرْضِهِ لآثار التوبة في الآخرة بمفتاح الاستجابة لكلِّ دعاءٍ، وهي قضية في غاية الأهميَّة، ولعلَّ بعض الناس لا يلتفت إليها؛ ألا وهي الصلاةُ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، فيقول: « فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ... »؛ أي لا بُدَّ من تقديم مفتاح الإجابة في الدعاء، ثُمَّ يُورِدُ (عليه السلام) الآثارَ المتعلِّقة بالتوبة، ولكونها مرتبطةً بالآخرة فلا بد من بيان أثرها في أوَّل محطةٍ من محطات الآخرة؛ وهي ساعة الاحتضار ومجيء سَكْرَةِ الموت التي تتكشَّف فيها الحقائقُ وتُشخَّصُ عيونُ الإنسان حينها باحثًا عمَّا يُنجيه منها ويُخفف عنه أهوالها ووَحْشَتها وآلامها، حين يرى صحيفةَ أعماله بيد الملائكة الكاتبين قد طُوِّيت وخُتِمت، فلا عودة للوراء ولا قدرة للطلب أو الاعتراض والاحتجاج، ولا منجى ولا مُعينَ إلَّا رحمة الله تعالى، وهو ما نَبَّه إليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) للخروج والنجاة من الغفلة وخطورتها وعسرها، فيقول: « وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كِتَابَةً أَعْمَلْنَا... ».

ومن ثَمَّ فقد بيَّنت كثيرٌ من الآيات حقيقة وجود الملائكة الكاتبين والصُّحف التي بين أيديهم يُسجَّلون فيها الحسنات والسيِّئات، قال تعالى:

﴿وَأِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(١) الإنفطار: ١٠-١٢.

(٢) الجاثية: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَكُلِّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).

ومن ثمَّ فإنَّ الإيمان بوجودهما؛ أي الملائكة الكاتبين والكتب التي بين أيديهم، من لوازم الشريعة «فما من عبدٍ إلا وله ملكانٍ مُوَكَّلانٍ به يكتبان عليه جميع أعماله. ومن همَّ بحسنةٍ ولم يعملها كُتِبَ له حسنةٌ، فإنَّ عملها كُتِبَ له عشرُ حسناتٍ، وإنَّ همَّ بسيئةٍ لم تكتب عليه حتى يعملها، فإنَّ عملها كُتِبَ عليه سيئةٌ واحدة، والمَلَكَانِ يكتبان على العبد كلَّ شيءٍ حتى النَّفخ في الرَّمَادِ، ومَرَّ أميرُ المؤمنين عليُّ (عليه السلام) برجل وهو يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه، ثمَّ قال:

(١) الزخرف: ٨٠.

(٢) الإسراء: ١٤: ١٣.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) يس: ١٢.

يَا هَذَا إِنَّكَ تُثْمِلِي عَلَى حَافِظِيكَ كِتَابًا إِلَى رَبِّكَ فَتَكَلِّمِي بِمَا يَعْنِيكَ وَدَعِ مَا لَا يَعْنِيكَ^(١).

وقال (عليه السلام): (لَا يَزَالُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ يُكْتَبُ مُحْسِنًا مَا دَامَ سَاكِنًا، فَإِذَا تَكَلَّمَ كُتِبَ إِمَّا مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا)^(٢).

ومَوْضِعُ الْمَلَكَيْنِ مِنْ ابْنِ آدَمَ التَّرْقُوتَانِ، صَاحِبِ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبِ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ. وَمَلَكَا النَّهَارِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْعَبْدِ بِالنَّهَارِ، وَمَلَكَا اللَّيْلِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ اللَّيْلِ^(٣).

ومن ثمَّ: ندرك أهميَّة ما كشفه دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) من آثار الإيمان بالغيب على الإنسان في قيمة التنبُّه من الغفلة؛ بوصفه قيمة إنسانية، والتوجُّه إلى الله تعالى والتماسه العفو والمغفرة والتوبة، والتفضُّل عليه بقبُولها والنجاة من تضييعها فيكون كما وصفته الآية المباركة:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٤).

المسألة الثالثة: إن التوبة تمنع الوقوف بين يدي الله تعالى للمساءلة عن الذنب.

قال (عليه السلام): «لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ».

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (رحمه الله): ج ٤ ص ٣٩٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (رحمه الله): ج ٤ ص ٣٩٦.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية: الصدوق: (٦٨ - ٦٩).

(٤) الأعراف: ١٧٩.

في الأثر الثاني من آثار التوبة في الآخرة وبيان قيمة التنبه من الغفلة والتوجه إلى الله تعالى لطلب التوبة والعفو والمغفرة، ينتقل بنا الدعاء الشريف إلى بيان دلالة الاجترار واقترانها بالذنوب، وهو أمر له من السعة المعرفية الملازمة للقرآن الكريم، وذلك عبر كاشفيته عن أثر الذنوب الجسدية والنفسية والروحية على الإنسان فضلاً عن الآثار الأخروية.

فقد قال أهل اللغة: «وإنما سمي ذلك اجتراراً لأنه عملٌ بالجوارح وهي الأعضاء الكواسب»^(١) «وجوارح الإنسان: عوامل جسده؛ من يديه ورجليه، الواحدة: جارحة.

و اجترح عملاً: أي اكتسب، قال:

وَكُلُّ فِتْيٍ بِمَا عَمِلَتْ يَدَاهُ
وَمَا اجْتَرَحَتْ عَوَامِلُهُ رَهِينٌ^(٢)

والرهين هو المقيد المكبل بما أخذ حتى يرده إلى صاحبه، أي أن الإنسان مكبل بالذنوب حتى يتحرر منه بالتوبة إلى الله تعالى فيتحرر من قيوده وتبعاته في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣).

ومن ثمَّ فالدعاء يُرشدُ إلى أن الإنسان حينما يقع في الذنب يكون قد

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ج ١ ص ٤٥١.

(٢) كتاب العين، الفراهيدي: ج ٣ ص ٧٨.

(٣) المائة: ٤.

استخدم قواه الجسدية والنفسية عبر العين والأذن والأنف واليد والرجل والجلد فشارك معه حاسة البصر والسمع واللمس والذوق والشم، فضلاً عن الاحساس باللذة الروحية، وجميع هذه المواضع هي شريكة في الذنب مما يتطلب تحريرها من قيوده لتنجو يوم القيامة من المحاسبة والقصاص، أي إن الله تعالى يقتض من جوارح الإنسان التي استعان بها على الذنب. والحكمة في القصاص أن هذه النعم هي من المنعم، أي الله تعالى؛ فهو الذي وهبها للإنسان ليستطيع أن يقوم بما يصلح حياته وفق المنهاج الذي قرره الله تعالى عبر الشريعة المقدسة. فكم من مبتلى بالعوق محروم من أحد هذه النعم الإلهية، عليل في حياته، وآخر يتمتع بها صارفاً إياها في معصية الله تعالى، ومن ثم فالحق والعدل والإنصاف يقتضي أن يقتص صاحب النعمة من المقصر بها إلا أن يتفضل على عبده بالعفو والمغفرة.

ومن هنا: تكمن أهمية الرجوع إلى الله تعالى بطلب العفو والتوبة على المذنب ليتحرر مما اجترحه في حق الله تعالى من الذنوب، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١)، فالآية المباركة تُرشد إلى تحقيق الوعي المعرفي والتفكر في حكمة الله تعالى في التمييز بين الذين وهب الله تعالى لهم نعمة العافية وسلامة الجوارح لیسخرها في طاعة الله تعالى، وبين الذين اسأوا إليها وقادوها إلى القصاص والعذاب والحزى والافتضاح، ومن ثم ليس من العدل أن يكون هؤلاء وهؤلاء متساوين في الجزاء.

المسألة الرابعة: إن التوبة تمحو المعاصي

ينتقل بنا النص الشريف عبر الدعاء إلى بيان أثر آخر من آثار التوبة في الآخرة فيقول (عليه السلام): «وَلَا مَعْصِيَةَ أَقْتَرُ فَهَا».

ومعنى المعصية: خلاف الطاعة الواجبة^(١)، ومخالفة الشرع المأمور به. والمعاصي هي ترك المأمورات، وفعل المحظورات.

والمعنى الدلالي لقوله (عليه السلام) يختلف عن الأثر السابق، أي اجتراح الذنب؛ فقد لازم الإمام زين العابدين بين معنى الذنب ومعنى الاجتراح؛ وذلك لوقوعهما في المصاديق الخارجية في الاشتراك بين الجسد والنفس والروح عبر الجوارح كما مرّ بيانه آنفاً.

أمّا في المعصية فقد أرشد النص الشريف إلى مصداق خارجي مغاير لما عليه وقوع الذنوب؛ وذلك أن المعصية تلازم الاكتساب ومداره التمرد على السيد فيما أمر ونهى، أي إن مدارها الأوامر النواهي دون الحاجة إلى اشتراك الحواس؛ ومثاله: مَنْ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ تَعَالَى فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ الصِّيَامِ أَوْ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَرَائِضِ، فَهَذَا لَا دَخَلَ لِلْحَوَاسِّ الْجَسَدِيَّةِ وَالْمَلذَّاتِ النَّفْسِيَّةِ فِي تَرْكِ الْإِمْتِثَالِ لِلصَّلَاةِ.

ومن ثمّ فإنّ المدار فيها خارج عن الجوارح، فقد يهّم الإنسان في الطاعة لنيته الحسنّة في وجوه البرّ وفعل الخيرات ولم يتمكّن من القيام فيكتب له حسنة على نيته الصالحة؛ لأنّه همّ بالقيام بما أمر الله تعالى من وجوه البرّ والخير العديدة.

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج ٦ ص ٢٤٢٩.



من هنا ذهب أهل اللغة إلى حصر معنى الاقتراف بالكسب؛ قال الرَّاغِبُ: «أَصْلُ الْقَرْفِ وَالْاِقْتِرَافِ: فَشْرُ اللَّحَاءِ عَنِ الشَّجَرِ، وَالْجَلِيدَةِ عَنِ الْجُرْحِ (٣)، وَاسْتُعِيرَ الْاِقْتِرَافُ لِلَاكْتِسَابِ حُسْنًا كَانَ أَوْ سُوءًا، وَهُوَ فِي الْإِسَاءَةِ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا، وَلِهَذَا يُقَالُ: الْاِعْتِرَافُ يُزِيلُ الْاِقْتِرَافَ» (١)

وقد دلَّ على هذا البيان والمعنى بعض آيات كتاب الله تعالى، وهي:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ (٣).

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٤).

ومن ثمَّ فإنَّ من آثار التوبة يوم القيامة أنَّها تحو ما اكتسبه الإنسان من الآثام والسيئات لعصيانه الله تعالى فيها أمر ونهى ولم يُطعْه فيها، وأنَّ الغافل عنها محروم من آثارها.

المسألة الخامسة: إن التوبة تستر الإنسان يوم القيامة

في الأثر الرابع يُرشدنا الدعاء، أي قوله (عليه السلام): «وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرًا سَتَرْتَهُ عَلَي رُءُوسِ الْأَشْهَادِ» إلى مسألة أخرى فيما يتعلق بأهوال يوم

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٤٠١ .

(٢) الأنعام: ١٢٠ .

(٣) التوبة، من الآية: ٢٤ .

(٤) الشورى: ٢٣ .

القيامة؛ وهي انكشاف العيوب والذنوب والسيئات والمعاصي على رؤوس الأشهاد، وافتضاح الإنسان بما عمَلَ في الحياة الدنيا ومما لاريبَ فيه أن هذا الأمر له من الألم ما لا يُمكن وصفه؛ وذلك لمساسه بكرامة الإنسان ولاسيما في نطاق أسرته وأهله وعلاقاته الشخصية والاجتماعية، بل لعل انكشاف العيوب والمساوي أمام الخصوم أشدّ المأ من انكشافه أمام الأحياب، وذلك أن الخصم يفرح بهذا الافتضاح، بل ويتشَفَى به شامتاً، أما المُحِبُّ فألمه تعاطفٌ ومواساةٌ.

ولذلك يتدبّر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بيان رحمة الله تعالى، ويلتمسه بدوام رحمته على المذنب والمقصر، فيقدّم السّتر الذي تفضّل به الله تعالى على عبده في الحياة الدنيا فيما اجترح من ذنوب واقترف من معاصٍ ليحيا وهو مُعزّزاً بين الناس، ولو أنّهم اطلعوا على سريره وأعماله المستورة عنهم لوّلوا فراراً عنه، بل لنبذوه وهجرّوه واستحقرّوه.

ومن ثمّ فالإنسان المذنب والعاصي هو أحوج إلى السّتر يوم القيامة من السّتر في الحياة الدُّنيا؛ والعلة في ذلك أن الكشْفَ للسرائر يكون على رؤوس الأشهاد

ومن ثمّ يتدرّج بنا النص الشريف في بيان الآثار التي تُحقّقها التوبة وقيمة التنبّه من الغفلة عنها وتسلسلها في الآخرة ابتداءً من سكرات الموت وصولاً إلى ستر الإنسان يوم الحساب أمام الخلق، فلا يُذاع أمامهم ما اجترحه من ذنوب أو اقترفه من سيئات في حياته، ولخُطورة الأمر وعُسره فقد ورد في وصايا النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) لعبد الله بن مسعود أنّه قال: (يا

ابن مسعودٍ عَلَيْكَ بِالسَّرَائِرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، يا ابن مسعود احذر يوما تنشر فيه الصحائف ويفضح فيه الفضائح فإنه تعالى يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(١).
إِلَّا أَنْ خُطِرَةَ الْإِفْتِضَاحِ تَكْمُنُ فِي هَوِيَةِ الْأَشْهَادِ فَمَنْ هُمْ؟ هَذَا مَا سَتَتَاوَلَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْقَادِمَةِ.

المسألة السادسة: إن التوبة تمنع فضح الإنسان على رؤوس الأشهاد

في الأثر الأخير يكشف لنا النص الشريف أهم الأمور التي أَرادها الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقصدها في دعائه؛ وهي أن التائب إلى الله تعالى لا يُفْتَضَحَ على رؤوس الأشهاد.

والأشهاد الذين ورد ذكرهم في الدعاء هم على تأولين؛ الأول: مَنْ يَشْهَدُ يَوْمَ الْحِسَابِ؛ وهو كناية عن يوم القيامة، والثاني: هم الأنبياء والرسل وسيدهم أبو القاسم محمد وآله بيته (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وقوله سبحانه:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣)

(١) الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٢٦ ص ٢٢١.

(٢) هود: ١٨.

(٣) غافر: ٥١.

وقد بيّن القرآن الكريم حال الناس الذين يُفْتَضِّحُونَ على رؤوس
الأشهاد؛ أي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، وشِدَّة الألم للذين
يشعرون به، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا
بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى
بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(١).

ولذلك نجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الدعاء الأول يتحدث
عن التوبة فيبيّن فضل الله على العباد، فلو لم يكن من فضله عليهم إلا التوبة
لكفى بها فضلاً، فيقول:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفْعِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِ
مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا، وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وَجَسَمَ فَضْلُهُ
عَلَيْنَا فَمَا هَكَذَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِنَ كَانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعًا، وَلَمْ يُجِشِّمْنَا إِلَّا يُسْرًا، وَلَمْ يَدْعُ لِأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً وَلَا
عُدْرًا. فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ، وَالسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ».

وخير ما نختم به البحث هو التوجه إلى الله تعالى بدعاء الإمام زين
العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام)، في ذكر التوبة وطلبها، فيقول:
«اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ، وَيَا مَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ،
وَيَا مَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ مُتَهَيَّ خَوْفِ الْعَابِدِينَ،
وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ، هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ
أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَرَ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ تَفْرِيطًا، وَتَعَاطَى

مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً، كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أَوْ كَالْمُنْكَرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَى، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَابُ الْعَمَى، أَحْصَى مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيهَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَى كَبِيرَ عِضْيَانِهِ كَبِيراً، وَجَلِيلَ مُخَالَفَتِهِ جَلِيلاً، فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمَّلاً لَكَ مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلَاصاً، قَدْ خَلَا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرُكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَدَلِّلاً، وَأَبْثَكَ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعاً، وَاسْتَعَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ، وَقِيحَ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ؛ مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرَتْ لَدَائِمَهَا فَذَهَبَتْ، وَأَقَامَتْ تَبِعَاتُهَا فَلَزِمَتْ، لَا يُنْكَرُ - يَا إِلَهِي - عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ، وَلَا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ، لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَتَعَاطَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ فَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزاً وَعَدْلَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْقِنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقَيْتَ بِإِقْرَارِي، وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتَ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأْتِينِي عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي .

اللَّهُمَّ وَثَّبْتَ فِي طَاعَتِكَ نَبِيِّي، وَأَحْكَمْتَ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفَّقْتَنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَسَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَتَوْفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ: مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا تَوَفَّيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةً مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ، وَقَدْ قُلْتُ - يَا إِلَهِي - فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ: إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَن سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ، وَلَكَ - يَا رَبِّ - شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجَرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ، وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ، اللَّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بَعِينُكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَعِلْمُكَ الَّذِي لَا يَنْسَى، فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا، وَاحْطُطْ عَنِّي وَزَرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقَلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَقَارِفَ مِثْلَهَا.

اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ، وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلَّا عَن قُوَّتِكَ، فَقَوِّنِي بِقُوَّةِ كَافِيَةٍ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةِ مَانِعَةٍ.

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ، وَعَائِدٌ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ، فَإِنِّي أَعُودُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لَا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلَى تَوْبَةٍ، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ، وَالسَّلَامَةَ فِيهَا بَقِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وَأَسْتَوْهَبُكَ سُوءَ فِعْلِي، فَاصْمُمْنِي إِلَى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً، وَأَسْأَلُكَ بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ، أَوْ زَالَ عَن مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلِحَظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلُمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ

عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبَعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيمِ سَطَوَاتِكَ.
اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحَدِّثِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، واضْطَرَّابِ
أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامْتَنِي - يَا رَبِّ - ذُنُوبِي مَقَامَ الْحَزِي بِفَنَائِكَ، فَإِنْ
سَكَتُ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ،
وَلَا تَجْزِنِي جَزَائِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلِّئِي بِسِرِّكَ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ
عَزِيزٍ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَّجَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَّشَهُ.

اللَّهُمَّ لَا خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفِرْ عِزُّكَ، وَلَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي
فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلْتَنِي خَطَايَايَ فَلْيُوْثِقْ عَفْوِكَ. فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ
جَهْلِ مَنِّي بِسُوءِ أَثْرِي، وَلَا نِسْيَانٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيمِ فِعْلِي، لَكِنْ لَتَسْمَعَ سَمَؤُكَ
وَمَنْ فِيهَا وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَجِئْتُ إِلَيْكَ فِيهِ
مِنَ التَّوْبَةِ. فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرَّقَّةُ عَلَيَّ
لِسُوءِ حَالِي فَيُنَالِنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ كَدِّ
عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفُورَتِي بِرِضَاكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرُّكُ
لِمَعْصِيَتِكَ إِنْابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُئِيبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الْإِسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ
مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ

بِالتَّوْبَةِ، وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ، وَحَشَّتَ عَلَى الدُّعَاءِ، وَوَعَدْتَ الْإِجَابَةَ، فَصَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلَا تَرْجِعْنِي مَرْجِعَ الْخَيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَمَا
اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلَاةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْفِيَامَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ
إِلَيْكَ، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ^(١).

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء (٣١)، في طلب التوبة.

نتائج البحث

- لقد تمخضت الدراسة عن جملةٍ من النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي:
- ١- لم يزل كتابا نهج البلاغة والصحيفة السجّادية منهلاً للعديد من العلوم والمعارف الإنسانية؛ ولا سيما التي ترتبط بنظام حياته وحفظ كرامته وعيشه، بل لتحقيق هدفٍ خلقه ووجوده على الأرض، وذلك عبر إصلاحها وعمارتها.
 - ٢- لقد تعددت الدراسات والأبحاث المقارنة والموافقة بين المعارف القرآنية ونهج البلاغة، أو بين نهج البلاغة والعلوم والمناهل المعرفية الأخرى، إلا أن المقارنة بين الصحيفة السجّادية ونهج البلاغة - فإننا لانجزم - أن تكون هي مبتكرة ومما أسهمت فيه مؤسّسة نهج البلاغة عبر سلاسلها البحثية والمعرفية المتعدّدة.
 - ٣- ممّا لا ريبَ فيه أن الدراسات المختصة في التنمية البشرية ولا سيما في تنمية الذات، لها خصوصية خاصة في التوافق مع الأبحاث في علم الأخلاق وتطوير مهارات الإنسان وقدرته على تحقيق الحياة الأفضل، إلا أن المغيب منها هو ما تضمّنه الكتابان؛ أي الصحيفة السجّادية ونهج البلاغة من معارف جمّة في التنمية البشرية وبناء الذات الإنسانية والرقيّ بها في سلم الكمال.
 - ٤- إن من أهمّ القيم الإنسانية المغيبة عن تلك الأبحاث النظرية أو التي سعت إلى تنفيذها عبر التجارب والحواضن المجتمعية، هو إهمال العلاقة فيما بين الإنسان والله تعالى؛ مما شكّل فراغاً ذهنياً ومعرفياً في تحقيق قيمة الإنسان

وتحرُّره من القيود والأغلال التي تُؤدِّي به إلى الهلاك، بل إنَّ كثيرًا من هذه الأبحاث والنظريات قد تقود إلى آثارٍ سلبية؛ وذلك أنَّها تخلُق جَوًّا من الوهم ليعيش فيه الإنسان وقد تغافل عن أصل تَرَدِّيهِ وضياعه وهو الابتعاد عن الله تعالى، ومنها الغفلة عن التوبة التي لم تتمكَّن تلك الدراسات من وصفها والالتفات إليها بأنَّها من أهمِّ القيم الإنسانية التي تُميِّزه عن البهيمة؛ وكيف لا وهو عبر التوبة يرجع بنفسه إلى إنسانيته ويتنزَّه عن البهيمية التي لا تُميِّز في شؤونها سوى السعي في إرضاء غرائزها، سواء أكان ذلك حقًّا لها في البقاء، أم تعديًّا على الآخرين وسلبًا لحقوقهم في البقاء والعيش بأمان.

٥- ينقلنا النصُّ الشريف في نهج البلاغة إلى بيان تلك الخصوصية الخاصة في التوبة؛ أيَّ إنَّها تُعيد إلى الإنسان قيمته الإنسانية فضلًا عن بيانه (عليه الصلاة والسلام) عن أسباب وقوع الغفلة عن التوبة وآثارها على الإنسان في الحياة الدنيا، وهو أمر قلَّمَا نجد نظيره في النصوص الشريفة التي تجمع بين الأسباب والآثار للغفلة على الإنسان في الحياة الدنيا.

٦- إنَّ ما يمتاز به النصُّ الشريف الوارد في الصحيفة السجادية هو تركيزه على بيان آثار التوبة على الإنسان في الآخرة؛ ممَّا يُقدِّم تنظيمًا هيكليًّا دقيقًا لمصاديق نَقْلِ الإنسان من البهيمة إلى قيمته الحقيقية؛ وذلك لربطه وشده بالإيمان بالغيب، وذلك أنَّ الإيمان بالغيب والحساب وما يُلَاقيه الإنسان في يوم القيامة هو ممَّا فَضَّل اللهُ به الإنسان على الحيوانات والعجماءات، وأنَّ لا يُنظر إليه بوصفه كيانًا حيوانيًا تجري عليه العديدُ من التجارب لتحسين أدائه الجسميِّ والنفسيِّ «كالبهيمة المربوطة همَّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمُّمها،

تَكَرَّرْشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا»^(١)

ومن ثمَّ يقدم لنا النصُّ الشريف تلك المصاديق لقيمة الإنسان المرتبطة بالتوبة وأهميَّة التنبُّه منها؛ وذلك لما يرتبط ويتلازم معها من تنمية للذات وتطوير للقدرات النفسية التي تُعيد الإنسان إلى إنسانيته فيتجنَّب الوقوع مُجدِّدًا في الذنوب والمعاصي والآثام والتعدِّي على حقوق نفسه أو لآئمه ثمَّ أسرته ثمَّ الناس المحيطين به، وذلك أن الظالم لو يلتفت إلى ظلِّمه والمقصر إلى تقصيره والمذنب إلى ذنبه، وعزَمَ على إصلاح نفسه عبر الرجوع إلى الله تعالى تائبًا، لكان مثلاً لعنوان الصَّلاح والحياة الكريمة.

(١) نهج البلاغة، من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف.

صدر للمؤلف:

لقد منَّ اللهُ على المؤلّف بفضله وفَضلِ رسوله (صلى الله عليه وآله) فَوُفِّقَ لمجموعةٍ من الأبحاث والدراسات؛ فصدر له خمسون عنوانًا في العديد من الحقول المعرفيّة، والتي تقع في قرابة الثمانين كتابًا، وقد - شملت: - جوانب من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيرته، وحياة أهل بيته (عليهم السلام) وسيرتهم، الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة الثقافيّة، الأنثروبولوجيا العقديّة، التاريخ، فلسفة التاريخ، الميثولوجيا، التفسير، العقائد، الحديث النبويّ، فلسفة اللّغة وفقهها (التداوليّة)، الفقه المقارن، فقه الائتلاف والاختلاف، فقه الأخلاق، أصول الفقه، دراسات في نهج البلاغة، تحقيق المخطوطات، وغيرها من الحقول المعرفيّة، وهي على النحو الآتي:

١. الجمال في عاشوراء، (دراسة وصفيّة في ضوء القرآن والسنة وعلم المعرفة الحسينيّة «الإستطيقا») عدد الصفحات: (٢١١)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، طُبِعَ طبعتين، الأولى عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م - النجف الأشرف، والثانية عام ١٤٣١ هـ / ٢٠١٢ م - بيروت.

تُرجم إلى الإنكليزيّة: إصدار العتبة الحسينية المقدسة - مهرجان ربيع الشهادة، قياس (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، الطبعة الأولى عام ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٣ م، دار الوارث - كربلاء.

٢. ثقافة العيديّة، عدد الصفحات: (٧٩)، قياس: (رقعي)، (١١ × ١٥ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، طُبِعَ

ثلاث طبعات، الأولى النجف الأشرف عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، والثانية -
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م - النجف الأشرف، والثالثة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م - بيروت.
٣. اليعقوم، فرس جبرائيل (عليه السلام) في عاشوراء في القرآن والسنة
والتاريخ والأدب، (دراسة وتحليل وتحقيق)، عدد الصفحات: (١٥٦)، قياس:
(وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية
المقدسة، طبع طبعتين، الأولى النجف الأشرف عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م،
والثانية - ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م - بيروت.

٤. أبو طالب (عليه السلام) ثالث مَنْ أَسْلَمَ، (بحث استدلائي) عدد
الصفحات: (٢٠٧)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون
الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، طبع طبعتين، الأولى النجف الأشرف عام
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، والثانية ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م - بيروت.

٥. حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية، (دراسة وتحليل)، عدد
الصفحات: (١٦٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، طبع طبعتين،
إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الأولى عام ١٤٣٠هـ
/ ٢٠٠٩م - بيروت، والثانية عام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م - بيروت.

٦. موجز علم السيرة النبوية، (منهج دراسي)، عدد الصفحات: (٣١٧)،
قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة
الحسينية المقدسة، طبع طبعتين، الأولى عام ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، والثانية عام
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م - بيروت.

تُرجم إلى الإنكليزية: إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية

المقدّسة، قياس (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ -
٢٠١٢ م / بيروت.

٧. الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة الثقافيّة لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين
(عليه السلام)، (دراسة وتحليل في ضوء القرآن والسنة وعلم الإناسة)، عدد
الصفحات: (٢٠٨)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، الطبعة الأولى عام
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م - بيروت.

٨. الشيعة والسيرة النبويّة بين التدوين والاضطهاد شيخ كُتاب السيرة
النبويّة محمد بن إسحاق أنموذجاً، (دراسة وتحليل)، عدد الصفحات:
(٤٠٠)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية
- العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م - بيروت.
٩. حركة التاريخ وسننه عند عليّ وفاطمة (عليهما السلام)، (دراسة
إسلامية معاصرة في فلسفة التاريخ)، عدد الصفحات (١٦٠)، قياس:
(وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية
المقدّسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م - بيروت.

١٠. دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء بين النظرية
العلمية والأثر الغيبي، (١-٢ كتاب) (دراسة تحليلية)، عدد الصفحات
(٦٥٢)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية
- العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م - بيروت.

١١. خديجة بنت خويلد (عليها السلام) أمة جُمعت في امرأة - (دراسة
وتحقيق)، (١-٤ كتاب)، عدد الصفحات: (١٠٩٤)، قياس: (وزيرى)، (١٧

× ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م - بيروت / الأعلمي.

١٢. المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب (عليه السلام) أم حكيم بن حزام؟ (دراسة وتحقيق)، عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م / بيروت .

١٣. تكسير الأصنام بين تصريح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعميم البخاري، (دراسة وتحقيق في ضوء القرآن والسنة وعلم الميثولوجيا)، عدد الصفحات: (٢٩٦)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - بيروت .

١٤. ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، (دراسة وتحقيق)، عدد الصفحات (١٧٦)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - بيروت .

١٥. سبايا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) - دراسة في تاريخ سبى النساء وعلّة إخراج الإمام الحسين (عليه السلام) عياله إلى كربلاء، (دراسة وتحقيق)، عدد الصفحات: (٢٤٧)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - بيروت .

١٦ . باب فاطمة (عليها السلام) بين سلطة الشريعة وشريعة السلطنة،
(دراسة وتحقيق)، عدد الصفحات: (٢١٥)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)،
الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م - بيروت .

١٧ . الاستراتيجية الحربية في عاشوراء بين تفكير الجند وتجنيد الفكر،
(دراسة وتحليل في ضوء القرآن والسنة وعلم النفس العسكري)، عدد
الصفحات: (٣٠٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، الطبعة الأولى،
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م - بيروت .

١٨ . هذه فاطمة (عليها السلام)، (١ - ٨ كتاب)، (دراسة وتحليل)،
عدد الصفحات: (٢٧١٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار
قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ -
٢٠١٢ م، بيروت - الأعلمي .

١٩ . ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخي (دراسة
وتحقيق) عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار
قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ -
٢٠١٢ م، بيروت .

٢٠ . وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموضع قبره وروضته
بين اختلاف أصحابه وأستملاك أزواجه (دراسة تحليلية وتحقيق)، عدد
الصفحات: (٣٥٠)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار قسم الشؤون
الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م - بيروت .

٢١ . استنطاق آية الغار وإشكالية التنصيص الحديثي بين الثنية والتثليث

(دراسة تحليلية وتحقيق)، عدد الصفحات: (١٥٢)، قياس: (وزير)، (١٧) × ٢٤ سم، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م - بيروت.

٢٢. دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية، خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) في الكوفة أنموذجاً (دراسة في ضوء القرآن والسنة وعلم النفس الاجتماعي)، عدد الصفحات: (٢٣٨)، قياس: (وزير)، (١٧) × ٢٤ سم، إصدار قسم الشؤون الفكرية - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - بيروت.

٢٣. الأمن الفكري في نهج البلاغة (دراسة في ضوء القرآن والسنة وعلم الأنثروبولوجيا الثقافية لبيان مشروع الإمام عليّ (عليه السلام) في مواجهة الإرهاب والتطرف)، عدد الصفحات: (٣١٠)، قياس: (وزير)، (١٧) × ٢٤ سم، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، كربلاء المقدسة - دار الكفيل.

٢٤. الأمن الإنساني في خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) (دراسة مقارنة بين مفاهيم القرآن والعترة عليهم السلام ومفاهيم الأمم المتحدة، رؤية نظرية أم وسائل تطبيقية). عدد الصفحات: (١٨٤)، قياس: (وزير) - (١٧) × ٢٤ سم، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، كربلاء المقدسة - دار الكفيل.

٢٥. معارج العلأ في مناقب المرتضى (عليه السلام)، تصنيف: الشيخ محمد صدر العالم العمريّ الدهلويّ الصوفيّ من أعلام القرن الثاني عشر

للهجرة - (تحقيق وتعليق وتوثيق)، (١-٢ كتاب) عدد الصفحات (٦٤٨)
قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة -
العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م، كربلاء المقدسة
- دار الكفيل.

٢٦. فاطمة (عليها السلام) في نهج البلاغة، (مقاربة تداولية في قصيدة
النص ومقبولتيه واستكناه دلالاته وتحليله)، (١ - ٥ كتاب)، عدد الصفحات:
(١٢٢١ صفحة)، قياس: (وزيرى)، - (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم
نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م،
دار الكفيل - كربلاء.

٢٧. اغتيال التوحيد في ضوء الإنثروبولوجيا العقدية والبنائية الوظيفية
لخطاب الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، (دراسة بينية)، عدد
الصفحات: (٢٧٢)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة
علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ /
٢٠١٩ م، دار الوارث - كربلاء.

٢٨. أثر رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في إحياء فكر التوحيد
وتوحيد الفكر، في ضوء النظرية الوظيفية والضمير الجمعي، (دراسة بينية)،
عدد الصفحات: (٢١٦)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة
علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ /
٢٠١٩ م، دار الوارث - كربلاء.

٢٩. خصومة فاطمة (عليها السلام) عند ابن عثيمين، (قراءة في

المرتكزات الفكرية والمفاهيمية في ضوء القرآن والسنة، دراسة بينية)، (١-٢ كتاب)، عدد الصفحات: (٤٣٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م، دار الوارث - كربلاء .

٣٠. إفراغ السّجال في حديث النبي (صلى الله عليه وآله): «هِيَ لَكَ يَا عَلِيُّ لَسْتَ بِدَجَالٍ»، عدد الصفحات: (١٥١)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٣١. معارضة حديث (لا نورث) للقرآن والسنة واللغة، (دراسة بينية)، عدد الصفحات: (٢٥٩)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٣٢. إرث النبي (صلى الله عليه وآله) بين منع النبوة ودفن فاطمة (عليها السلام) على المذاهب الخمسة، عدد الصفحات: (٢٦٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٣٣. ما أنكره أعلام أهل السنة والجماعة فيما شجر بين أبي بكر وفاطمة (عليها السلام)، عدد الصفحات: (١٨٣)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٣٤. ما كتبه البخاريّ في ظلامه فاطمة (عليها السلام) وأظهره مسلم،
عدد الصفحات: (٢٠٧)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة
علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢ هـ/
٢٠٢١ م، دار الوارث - كربلاء .

٣٥. مغالطات المحدثين والمفسرين في نحلة سيّدة نساء العالمين (عليها
السلام)، عدد الصفحات: (٢٨٧)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)،
إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م، دار الوارث - كربلاء .

٣٦. ردّ ادعاء الجبائيّ وابن أبي الحديد المعتزليّ بتأخير فاطمة (عليها
السلام) دعوى النحل على إرث النبيّ (صلى الله عليه وآله)، عدد الصفحات:
(١٩٢)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج
البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م، دار
الوارث - كربلاء .

٣٧. حرب الكلمة في إقرار الخليفة بحقوق فاطمة (عليها السلام) بين
قوله: (لا نُورث) و(يرثه أهله)، عدد الصفحات: (١٣٢)، قياس: (وزير)،
(١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة،
الطبعة الأولى، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م، دار الوارث - كربلاء .

٣٨. ما شجر بين أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله) وعائشة وأثره في
إظهار إرث فاطمة (عليها السلام)، عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (١٧ ×
٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة،

الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٣٩. معارضة خلفاء المسلمين لسُنَّة أبي بكر في أموال بضعة سيِّدة المرسلين (صلى الله عليه وآله)، عدد الصفحات: (٢٠٠)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤سم)، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٤٠. تأويلات أعلام أهل السُنَّة والجماعة في تركّ أبي بكر سلاح النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومتاعه لفاطمة (عليها السلام)، عدد الصفحات: (١٧٥)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤سم)، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٤١. مبنى حكم لزوم نفقة أزواج النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسكناهنّ في بيوته، (دراسة فقهية مقارنة على المذاهب السبعة)، عدد الصفحات: (٢٨٧)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤سم)، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، دار الوارث - كربلاء .

٤٢. فقه نهج البلاغة على المذاهب السبعة، دراسة فقهية مقارنة، (١- ١٢ كتاب)، عدد الصفحات: (٣٢١٠ صفحة)، قياس: (وزيرى)، (١٧ × ٢٤سم)، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م، دار الوارث - كربلاء .

٤٣. الحقوق المدنيّة والسياسيّة بين العهد الدُّولي للجمعية العامّة للأمم المتّحدة عام ١٩٦٦م وعهد الإمام عليّ (عليه السلام) لمالك الأشتر رحمه

الله، (دراسة مقارنة)، عدد الصفحات: (١٠٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م، دار الوارث - كربلاء .

تُرجمَ إلى الفارسيّة: وقد تبنّت مؤسسة نهج البلاغة في طهران ترجمة الكتاب إلى اللّغة الفارسيّة وطبّعه، قام بترجمته الأستاذ حسن رحمانى، طبع ونشر مؤسسة نهج البلاغة وفرهنكسراي نهج البلاغة طهران، قياس: (رقعي)، (١١ × ١٥ سم)، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م.

٤٤. أثر الميثولوجيا العالميّة في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، دراسة بينيّة، عدد الصفحات: (٢٠٧)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م، دار الوارث - كربلاء .

٤٥. كاشفيّة خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن أصول الرسوم المسيئة للنبيّ (صلّى الله عليه وآله)، صحيح البخاريّ وصحيفة يولانديس بوستن مثلاً، عدد الصفحات: (١٨٤)، قياس: (وزير)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م، دار الوارث - كربلاء .

٤٦. فقه صناعة الإنسان، الأوامر والنواهي في عهد مالك الأشتر مثلاً، دراسة في ضوء أصول الفقه والأخلاق، عدد الصفحات: (٢٩٦)، قياس: (وزير)، (٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٣ م، دار الوارث - كربلاء .

٤٧. فقه مهارات التنظيم في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختياريًا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، تشمل: تنظيم الوقت، تنظيم العمل، تنظيم الأمور، تنظيم العلاقات، تنظيم العبادة، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، عدد الصفحات (١٤٤)، قياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤ سم)، الطبعة الأولى لسنة ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م، دار الوارث - كربلاء المقدسة.

٤٨. فقه مَنع النفس من التسرع إلى هواها في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختياريًا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، عدد الصفحات: ١٤٩ صفحة، القياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م، دار الوارث - كربلاء المقدسة.

٤٩. فقه إدارة الغضب في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختياريًا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، عدد الصفحات: ١٣١ صفحة، القياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى لسنة ١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م، دار الوارث - كربلاء المقدسة.

٥٠. قيمة وقت الفراغ وأثارة في الدنيا والآخرة بين الصحيفة السجادية ونهج البلاغة، دراسة تنموية مقارنة، عدد الصفحات (١٠٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤ سم)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى لسنة ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤ م، دار الوارث - كربلاء المقدسة.

٥١. طلب الإصلاح بين القرآن الكريم وعاشوراء ونهج البلاغة، دراسة في ضوء تنمية القيم الإنسانية وتطوير الذات، قراءة في المرتكزات المفاهيمية حديث (خير القرون قرني). عدد الصفحات (٢٩٤)، القياس: (وزيري)،

(٧ × ٢٤ سم) ، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية

المقدسة-الطبعة الأولى دار الوارث ١٤٤٦-٢٠٢٥ / كربلاء المقدسة.

والحمد لله ربّ العالمين على فضله وفضل رسوله وصلى الله على خير

خلقه محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين أساس الدين وعماد اليقين.

مصادر البحث ومراجعته

القرآن الكريم.

١- الإرشاد، الشيخ المفيد، (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢- إرشاد القلوب، الحسن بن محمّد الديلمي، طبع: انتشارات الشريف الرضيّ لسنة ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، طهران - إيران.

٣- أساس البلاغة، الزمخشري، (ت ٥٣٨ هـ)، طبع: دار ومطابع الشعب لسنة ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م، القاهرة - مصر.

٤- الاعتقادات في دين الإماميّة، الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: عصام عبد السيّد، ط ٢، لسنة: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، نشر: دار المفيد، بيروت - لبنان.

٥- الأمالي، الشيخ الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: مؤسّسة البعثة، ط ١، سنة الطبع: ١٤١٤، نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

٦- الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن نعمان (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، عليّ أكبر الغفاري، نشر وطبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م، ط ٢، بيروت لبنان.



- ٧- تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ابن شعبة الحرّانيّ، تصحيح وتحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، نشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ط ٢، قم المقدّسة - إيران.
- ٨- تفسير الطبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، طبع: دار ابن حزم - دار الإعلام لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان.
- ٩- التوحيد، للصدوق، ط منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة قم - إيران.
- ١٠- جامع السعادات، محمّد مهدي النراقيّ، (ت ١٢٠٩ هـ)، حقّقه وعلّق عليه: العلامة السيّد محمّد كلانتر، قدّم له: الشيخ محمّد رضا المظفر، منشورات: مطبعة النعمان - النجف الأشرف
- ١١- الخصائص الفاطميّة للشيخ محمّد باقر الكجوريّ: ط ١، انتشارات الشريف الرضيّ لسنة ١٤٢٢ هـ.
- ١٢- رجال ابن داود، ابن داود الحليّ (تقيّ الدين الحسن بن عليّ بن داود، ت ٧٠٧هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٣- سنن الترمذي، شرح الازهار، أحمد المرتضى، (ت: ٨٤٠ هـ)، الناشر: مكتبة غمضان - صنعاء - اليمن.
- ١٤- شرح صحيح مسلم للنوويّ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النوويّ الشافعيّ (ت: ٦٧٦هـ)، طبع: دار القلم، ط ١، بيروت - لبنان.
- ١٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل

إبراهيم، ط ١، نشر: دار إحياء الكتب العربيّة، سنة الطبع: ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩ م، بيروت.

١٦- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ، (ت: ٦٧٩ هـ)، عني بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقوبل بعدة نُسُخ موثوق بها، ط ١، تابستان ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانه دفتر تبلیغات إسلامي، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ - الحوزة العلميّة - قم - إيران.

١٧- شُعْب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد سعيد بسيوني، طبع: دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت - لبنان.

١٨- الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، (ت: ٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

١٩- صحيح البخاريّ، البخاري، (ت ٢٥٦ هـ)، لسنة: ١٤٠١ - ١٩٨١ م، نشر: دار الفكر.

٢٠- الصحيفة السجّاديّة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، طبع ونشر الهادي / قم - إيران

٢١- علل الشرائع، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق سنة الوفاه (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد الصادق بحر العلوم، طبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧ م، ط ١، بيروت - لبنان.

٢٢- العين للفراهيدي، ط ٢، مؤسّسة دار الهجرة، لسنة ١٤٠٩ هـ.

٢٣- عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق أبو جعفر

محمد بن علي، (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢٤- الفروق اللغوية، لأبو هلال العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، شوال المكرم ١٤١٢، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٥- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، ط ١، لسنة: ١٤١٨ - ١٣٧٦، نشر: مؤسسة معارف إسلامي.

٢٦- الكافي، الشيخ الكليني: الطبعة الخامسة دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران لسنة ١٤٠٩ هـ.

٢٧- كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي، الوفاة: ق ٣، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، لسنة: ١٣٩٩، المطبعة: العلمية - قم.

٢٨- كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، ت ٦٩٣هـ، ط ٢، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٩- محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني المعروف بابن مالك، والمسماة أيضاً ب (الخلاصة) (٦٠٠هـ - ٦٧٢هـ)

٣٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط ١، بيروت - لبنان.

٣١- المخصّص، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل النحويّ اللغويّ الأندلسيّ المعروف بابن سيده، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان.

٣٢- مروج الذهب ومعادن الجواهر، أبو الحسن المسعوديّ، ط ١ المحققة، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣٣- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١ هـ).

٣٤- معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٩٥ هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، لسنة: ١٩٧٩ م.

٣٥- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، سيّد محمّد تقيّ النقويّ القابنيّ، ط ١، انتشارات قائن، إيران، ١٤٢٦ هـ.

٣٦- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بـ(الراغب الاصفهاني) (ت ٥٠٢ هـ)، طبع: دار إحياء التراث العربيّ لسنة ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨ م، ط ١، بيروت - لبنان.

٣٧- ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار. العلامة محمّد باقر بن محمد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١٠ هـ). ط ١، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦ هـ - ١٤٠٧ هـ.

٣٨- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق: د. يوسف البقاعيّ، ط ١، نشر: مركز الأبحاث العقائديّة، سنة الطبع: ١٤٢١ هـ، قم المقدّسة.

٣٩- الوافي، الفيض الكاشاني محمّد حسن المشتهر بالفيض الكاشاني، (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسينيّ، ط ١، مكتبة أمير المؤمنين (عليه

السلام) العامّة أصفهان، إيران، ١٤٠٦ هـ.

٤٠- وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحرّ العامليّ، (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق:

الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة: الخامسة، لسنة: ١٤٠٣ -

١٩٨٣ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

المحتويات

استهلال.....	٥
الإهداء.....	٧
المقدمة.....	٩
التمهيد: معنى مفردات عنوان الدراسة ومناهله المعرفية.....	١٣
أولاً: معنى مصطلح (القيم الإنسانية) ومفهومه	١٣
١- المعنى اللُّغوي للمصطلح.....	١٣
٢- مفهوم المصطلح.....	١٤
٣- الفرق بين الثمن والقيمة وأثره في معنى المصطلح ومفهومه	١٥
٤- المعنى التركيبي لمفهوم المصطلح ومعناه.....	١٥
ثانياً: معنى الغفلة في اللُّغة والاصطلاح.....	١٦
١- الغفلة لُغَةً:.....	١٦
٢- الغفلة اصطلاحاً:.....	١٦
ثالثاً: معنى التوبة في اللُّغة والاصطلاح.....	١٦

- ١٦..... ١- التوبة لُغَةً:
- ١٦..... ٢- التوبة اصطلاحًا.
- ١٧..... رابعًا: تعريف الصحيفة السجّاديّة
- ١٨..... خامسًا: تعريف كتاب نهج البلاغة

الفصل الأول

أسباب الغفلة عن التوبة ودورانها بين الإنسان والشيطان والبيئّة

- ٢٣..... توطئة:
- ٢٥..... المبحث الأول: أسباب الغفلة العائدة إلى الإنسان
- ٢٥..... المسألة الأولى: تَرَكَ تقوى الله
- ٢٥..... أوّلاً - التقوى لُغَةً .
- ٢٦..... ثانيًا - أثر التقوى في النجاة من أسباب الغفلة عن التوبة.
- ٢٨..... المسألة الثانية: عُرُوف الإنسان عن النصيحة لنفسه.
- ٣١..... المسألة الثالثة: تأخير التوبة .
- ٣١..... أوّلاً - هل المراد بتقديم التوبة الإسراع أم تَرَكَ التسويف؟
- ٣٢..... ثانيًا - قصديّة النصّ بالإسراع يُراد به التطهير وكشف الحُجُب عن القلب...
- ٣٤..... ثالثًا - هل يَأْتُم الإنسان بتأخير التوبة؟
- ٣٦..... المسألة الرابعة: غَلَبَ الشّهوة
- ٣٧..... أوّلاً: قَصْدِيّة النصّ الشريفِ بِغَلَبِ الشّهوة ودلالته

- ١ - العِفَّةُ لُغَةً..... ٣٩
- ٢ - منشأ العِفَّةِ في النفس ٣٩
- ثانياً: أثر قاعدة المراقبة والمحاسبة بتحقيق غَلَبِ الشهوة..... ٤١
- المسألة الخامسة: الانخداع بالأمل..... ٤٦
- المبحث الثاني: أسباب الغفلة العائدة إلى الشيطان..... ٥١
- المسألة الأولى: تزيين المعصية..... ٥١
- أولاً - الزينة لُغَةً..... ٥٢
- ثانياً - دلالة النصِّ في توكيل الشيطان بالإنسان..... ٥٢
- ١ - حقيقة التوكيل..... ٥٣
- ٢ - تحذير القرآن من الشيطان..... ٥٥
- المسألة الثانية: تمنية التوبة..... ٥٧
- أولاً - التَمَنِيَةُ لُغَةً..... ٥٧
- ثانياً - التسويْفُ لُغَةً..... ٥٨
- ثالثاً - مفهوم التسويْف..... ٥٨
- المسألة الثالثة: ما هي غاية الشيطان من التزيين والتَمَنِيَةِ وهل تساعد البيئة على تحقيق غايته؟..... ٥٨
- أولاً - امتداد غفلة الإنسان إلى الموت..... ٥٩
- ثانياً - إيصاله إلى الحسرة على تضييع عمره..... ٥٩

ثالثاً - أثر البيئة في الوقوع بشباك الشيطان أو النجاة منه ٥٩

الفصل الثاني

آثار الغفلة عن التوبة في الدنيا وعند الموت

- توطئة: ٦٣
- المبحث الأول: أثر التبَطُّر والغاية في تسافل الذات الإنسانية ٦٥
- المسألة الأولى: معنى التبَطُّر ودلالته ٦٥
- المسألة الثانية: سَبَبُ نُشُوءِ البَطْرِ ٦٨
- المسألة الثالثة: أثر الغاية في تسافل الذات الإنسانية ٦٩
- أولاً: معنى الغاية ٦٩
- ثانياً: أثرها في التقصير عن طاعة الله ٧٠
- المبحث الثاني: آثار الغفلة عن التوبة عند الموت ٧١
- المسألة الأولى: حسرة الإنسان عند الموت ٧١
- أولاً: معنى الحسرة ٧١
- ثانياً: دلالة الحسرة في النصِّ الشريف ٧٢
- ثالثاً: مرارة الشعور بالحسرة عند نزاع الروح تدفع الإنسان للاستغاثة ٧٣
- رابعاً: تحسُّر الإمام علي عليه السلام على الغافل عن التوبة بوصفه الولي ٧٥
- المسألة الثانية: كاشفية النص عن حضور الإمام علي (عليه السلام) في احتضار المسلم ونزاع روحه عند الموت ٧٧

- أولاً: انكشاف الحقائق للإنسان عند الموت ٧٧
- ١ - دلالة النصوص القرآنية ٧٧
- ٢ - دلالة النصوص النبوية ٧٩
- ثانياً: رؤية المسلم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه الإمام عليّ (عليه السلام) في الاحتضار ونزع الروح ٨١

الفصل الثالث

آثار الغفلة عن التوبة في الآخرة

- توطئة: ٩١
- المبحث الأول: الندامة والكآبة بعد الموت ٩٣
- المسألة الأولى - دلالة النصّ الشريف على إصابة الإنسان بالندامة بعد الموت .. ٩٣
- أولاً: الندامة لغة ٩٣
- ثانياً - كاشفية الأحاديث الشريفة عن آثار الندامة ومواردها ٩٣
- المسألة الثانية: دلالة النصّ الشريف على إصابة الإنسان بالكآبة بعد الموت .. ٩٧
- أولاً: معنى الكآبة وتعريفها ٩٧
- ثانياً: كاشفية الأحاديث الشريفة عن آثار الكآبة ومواردها ٩٨
- المبحث الثاني: آثار قبول التوبة في الآخرة ١٠٣
- المسألة الأولى: أثر الإيمان بالغيب في بناء الذات وتنمية القدرات النفسية ١٠٣
- المسألة الثانية: إن التوبة تُحقق حُسنَ العاقبة وتطوي صحيفة الأعمال بالخير ... ١٠٥

- المسألة الثالثة: إنَّ التوبة تمنع الوقوف بين يدي الله تعالى للمساءلة عن الذنب.. ١٠٨
- المسألة الرابعة: إنَّ التوبة تمحو المعاصي ١١١
- المسألة الخامسة: إنَّ التوبة تستر الإنسان يومَ القيامة ١١٢
- المسألة السادسة: إنَّ التوبة تمنع فَضْحَ الإنسان على رؤوس الأشهاد..... ١١٤
- نتائج البحث ١٢١
- مصادر البحث ومراجعته: ١٣٧